

الدكتور جوناثان

(مسرحية من ثلاثة فصول)

تأليف: ونستون تشرشل

ترجمة: حسين تقي سنبلّي

مراجعة : د. علي محمد سليمان

التحليل الفني: أ. د. أحمد صقر

العدد 366

يوليو 2013

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



في هذا العدد

الدكتور جوناثان

كتب المسرحي والروائي الأمريكي ونستون تشرشل مسرحيته الوحيدة (الدكتور جوناثان) العام ١٩١٩ وبين فيها أن صون الحريات أمر لا بد منه.

تزخر المسرحية بنواحٍ مختلفة من الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية، في تلك الحقبة الزمنية المهمة في التاريخ الأمريكي، وهي حقبة شهدت صراعات على مستويات مختلفة، وإن كانت المسرحية تدور حول حدث رئيسي واحد: صون الحريات، غير أنها تصور لنا أفكار الناس ومعتقداتهم البالية آنذاك.

تتميز المسرحية بالواقعية، مع غشاوة رقيقة من العاطفية الإنسانية على لسان شخوصها، وتظهر فيها أفكار تشرشل على لسان بطلها (الدكتور جوناثان) والذي سميت المسرحية باسمه.

يعبر تشرشل على لسان جوناثان ومن منطلق نفسي عن معتقداته في أن الديموقراطية السياسية مهزلة إن لم ترافقها ديموقراطية صناعية، وهي ما ظنها أرباب العمل الرافضون لذلك اشتراكية، وعلى أساس الصراع بين الأب المتمسك بعاداته وتقاليده البالية والابن الذي اعتنق أفكار جوناثان تدور أحداث المسرحية.

ISBN 978-99906-0-389-7
رقم الإيداع: (٢٠١٣/٢٧١)



الدكتور جوناثان

(مسرحية من ثلاثة فصول)

تأليف: ونستون تشرشل

ترجمة: حسين تقي سنبلّي

مراجعة: د. علي محمد سليمان

التحليل الفني: أ. د. أحمد صقر

من المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

almasrahalaalami@yahoo.com
almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

الدكتور جوناثان

ISBN 978-99906-0-389-7
رقم الإيداع: (٢٠١٣/٢٧١)

الدكتور جوناثان

تأليف: ونستون تشرشل

ترجمة: حسين تقي سنبلّي

مراجعة: د. علي محمد سليمان

التحليل الفني: أ. د. أحمد صقر

العنوان الأصلي للمسرحية

Doctor Johnathan



الفهرس



مقدمة مسرحية
دكتور جوناثان

بقلم:

أ. د. أحمد صقر

أستاذ الدراما والنقد المسرحي

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



حياة ونستون تشرشل وإبداعاته الأدبية (١٨٧١-١٩٤٧)

ولد الروائي الأمريكي ونستون تشرشل في العاشر من شهر نوفمبر في العام ١٨٧١ في سانت لويس وتوفي في الثاني عشر من شهر مارس في العام ١٩٤٧، أمريكي الجنسية والمولد، أما والده فهو إدوارد سبولدينج تشرشل ووالدته إيما بيل تشرشل، له ابنة هي مابل، وولدان هما جون وكريتون. درس في المرحلة الثانوية في أكاديمية سميت في سانت لويس، وفي المرحلة الجامعية درس في الأكاديمية البحرية الأمريكية وتخرج في العام ١٨٩٤، غير أنه لم يعمل كثيرا في مجال تخرجه ومارس الكتابة الأدبية والصحافية، وحقق مكانة مرموقة في مجال الإبداع الأدبي حتي بيعت روائعه في معظم الولايات الأمريكية.

كتب تشرشل عددا كبيرا من الأعمال الأدبية الروائية التي طبعت في كثير من دور النشر المتخصصة، من هذه الأعمال:

1 - والمشاهير «رواية نشرت في العام 1898».

2 - ريتشارد كارفيل «رواية نشرت في العام 1899".

3 - أزمة «رواية نشرت في العام 1901».

4 - معبر «رواية نشرت في العام 1904».

5 - كوينستون «رواية نشرت في العام 1906».

6 - السيد كرو المهني «رواية نشرت في العام 1908».

7 - وقائع الحديث «رواية نشرت في العام 1910».

8 - الداخل من الكأس «رواية نشرت في العام 1913».

9 - أرض بعيدة «رواية نشرت في العام 1915».



10 - المسكن مكان النور «رواية نشرت في العام 1917».

11 - دكتور جوناثان «مسرحية نشرت في العام 1919».

12 - الطريق المجهول «رواية نشرت في العام 1940».

الخلط بين الروائي الأمريكي ورجل السياسة البريطاني

تداخلت الآراء والحقائق بين ونستون تشرشل الروائي الأمريكي وبين السياسي والمفكر والخطيب البريطاني، خصوصا وأن تاريخ مولد كل منهما يكاد يتقارب فقد ولد الأمريكي في العام ١٨٧١بينما ولد البريطاني في العام ١٨٧٤، أما عن وفاة الأمريكي فقد توفي في العام ١٩٤٧، في حين توفي البريطاني في العام ١٩٦٥، كما زاد الخلط والتداخل بين الاثنين حينما شارك الأمريكي في الحياة الأدبية بالعديد من الروايات ومسرحية واحدة، وشارك البريطاني بسلسلة متتالية من الدراسات التاريخية العالمية والبريطانية، بل وبعدد كبير من الخطب والمقالات والأقوال، هذا إلى جانب رواية واحدة هي رواية «سافرولا»، أما عن حياتهما الأسرية فالأمريكي ينتمي إلى والد ووالدة أمريكيين، وينتمي البريطاني إلى والد ثري أرستقراطي بينما تأتي أمه من أسرة أمريكية صعدت بزواجها من تشرشل الأب إلى أن صارت بارونة.

تبادل البريطاني والأمريكي الرسائل حول تشابه أسمائهما واتفقا على أن يوقع البريطاني باسم «ونستون تشرشل» ووافق الأمريكي على هذا الاقتراح وذلك بأن يضع البريطاني الاسم الأوسط سبنسر في التوقيع ليميز بينهما، وهو إجراء إنما يدل دلالة واضحة على التداخل الذي كان يحدث بين نتاج هذا الكاتب أو ذاك خصوصا أنهما - كما سبق الذكر عاشا في فترة متقاربة.



أسباب تحول المبدع الروائي إلى الكتابة للمسرح

يثار هذا السؤال بين النقاد والدارسين، بل والقراء حول أسباب تحول الروائي إلى كتابة أعمال مسرحية أو العكس عندما يشارك المسرحي الروائي مجال إبداعه، وهو السؤال الذي أثير حول نجيب محفوظ ومصطفى محمود ويوسف أدريس وغيرهم، ذلك أن أدوات الروائي تختلف بطبيعة الحال عن أدوات المسرحي، خصوصا فيما يتعلق بكيفية صياغة الأفكار والأحداث والشخصيات والحوار، وهو ما نطرحه من خلال الدراسة، خصوصا أن الروائي الأمريكي تشرشل لم يكتب إلا هذه المسرحية بين إنتاج روائي تخطى العشر روايات.

إن القراءة النقدية التحليلية لجماليات النص المسرحي تطلعنا على كثير من نقاط الاستفسار خصوصا فيما يتعلق بتضمين النص المسرحي مساحات من السرد القولي أو الوصفي، مما جعله تطويلا في غير موضعه في إبداع أصبح الحوار المقروء المسموع يتراجع أمام الحوار المرئي، لذا فإن ملكات الروائي يبدو أنها ستظهر خلال الحوار، من ناحية أخرى فإن الروائي طرح من خلال رواياته الكثير من الأفكار والموضوعات التي تخص المجتمع الأمريكي بما فيها إشكالية الحرب الأهلية أو الحرب العالمية، أو أزمة السلاح والثراء والحريات، وعليه ما هو الجديد الذي رآه تشرشل لم يتحقق في كافة رواياته، واستحضره مرة واحدة في «دكتور جوناثان».

تأتي مسرحية دكتور جوناثان في أسلوب وبنية كتابتها قريبة مما ساد عند بعض الكتاب الذين اتخذوا المسرح منهجا لعرض كثير من الأفكار وتغليب طريقة المناقشة والجدل ملمحا للمسرحية، بل أكثر من ذلك تفتقد المسرحية الدوافع الشخصية وتصبح القضية اجتماعية تخص الطبقات وما تحمله من



أفكار أكثر من كونها تسعى إلى تحقيق أهداف بعينها تخص الأفراد، وهو ما اكتمل وتحقق في باقي عناصر المسرحية خصوصا الشخصيات وصراعها الذي افتقد الدوافع الشخصية ليصل الأمر إلى التفكير في التغيير من أجل الغد الذي ستشرق شمسه على الجميع.

مما تقدم تثير المسرحية كثيرا من التساؤلات التي ستتضح للقارئ خصوصا أن الواقعية جاءت ملمحا ميز النص، غير أن الذروة بالمعنى التقليدي السابق تتركز فقط وتثير الترقب في حادثة شخصية محدودة الأثر، أقصد تعرض جورج للموت هو ما دفع والده آشر إلى قبول مطلب العمال والموافقة على النقابة، مما يقلل من حجم الرفض ويضعف أسبابه الطبقية التي قدمها وهو ما يجعل دافع آشر شخصيا مقابل دوافع العمال وجورج ودكتور جوناثان الذي يعد المعادل الموضوعي لفكرة التغيير التي نادى بها المؤلف.

التحليل

كتب تشرشل المسرحية في ثلاثة فصول دارت أحداث الفصلين الأول والثالث في قصر آل بندار، بينما دارت أحداث الفصل الثاني في منزل الدكتور جوناثان آل بندار. يركز المؤلف على فكرة طالما سعى إلى تحقيقها، على الرغم من معارضة القوة المهيمنة على الأحداث طوال المسرحية أي أسرة آل بندار خصوصا آشر الثري صاحب المحلات المنتشرة في قرية «نيوانكلاند» أقصد الحرية والقضاء على استغلال الأغنياء للفقراء ممثلا في تكوين نقابة للعاملين في محلات آشر العنيد الذي لا يعترف إلا بكونهم عمالا ليس لهم حقوق لكي يناقشهم فيها. وهكذا يتحقق جانبا الفكرة



من مؤيد لها من داخل الأسرة وهو آشر الوالد ومساعده العجوز ثيموثي والرافضين من داخل الأسـرة أي ابنه جـورج وقريبه دكتور جوناثان وكل العمال.

وهكذا تتبلور فكرة المسرحية التي من الممكن أن تتسع لتنقسم إلى ثلاث أفكار هي:

١ - محاربة الأرستقراطي لفكر العمال المنادي بالنقابة أي تحقيق المساواة.

٢ - مناداة الابن بضرورة الاستماع للعمال لتجنب الصدام.

٣ - مناداة دكتور جوناثان بتحقيق التغيير والاستجابة لفكر القرن الجديد.

٤ - محاربة العدو الخارجي الذي يهدد أحلام الغد.

وهكذا تنادي المسرحية وتتخطى في مجملها الأهواء الشخصية لتصل إلى ما هو أكبر ويتسع للجميع ولوطن تتراجع فيه أفكار الأمس والنظرة الضيقة للمصالح، وتسيطر فيه النظرة الإيجابية للمجتمع.

تضمنت المسرحية مجموعة من الأحـداث المسرحية التي تثير بعض الاستفسارات منها: هل تقدم المسرحية مجموعة من الأحداث المادية أم تقدم مجموعة من الأحداث الفكرية؟ ولعل الدافع في ذلك أن الجدل والنقاش يسيطران على مجمل الأحداث بعيدا عن الأحداث المبنية على صدامات وانفعالات، فالمسرحية ترتكز على حدث فكري يتمثل في ضـرورة تحقيق الحرية والديموقراطية ليتمكن الجميع من العيش، وإن جاءت المسرحية في مجملها واقعية وأحداثها لها بداية ووسط ونهاية وهو ما يقربها من الدراما الفكرية الساعية إلى تحقيق تغيير في المجتمع عن طريق العلم والنقاش وليس عن طريق العنف، وهو ما يتقارب مع مسرح ابسن وشو وجالزروثي وغيرهم، وعليه يسعى كل فريق إلى تحقيق فكرته آشر ومن معه والعمال

ومن معهم وجورج ودكتور جوناثان ومن معهم، وهو ما يمكن أن نسميه تعدد مستويات الأحداث في المسرحية.

أما عن البنية الدرامية للنص فهي بنية تقليدية مكونة من بداية ووسط ونهاية، وإن سيطر على البنية الفنية للنص سمة من سمات المسرح الفكري الواقعي عند ابسن وشو وجالزروثي وبريخت أقصد النقاش والجدل، مما جعل كل طرف يسعى إلى الانتصار لأفكاره مقابل الآخر.

حرص شرشل عند كتابة هذه المسرحية على التركيز على عنصر الصراع ليتمكن من إيضاح رسالته التي تمثلت في تقسيمها إلى قسمين:

أ - قسم يمثله آشر ومن معه من المساعدين.

ب - قسم يمثله العمال ومن يوافقهم الرأي.

وبين هؤلاء يأتي جورج ابن آشر ودكتور جوناثان الذي يعد المحرك الفعلي للصراع والعقل الضابط لانطلاقه وإتمامه، خصوصا أنه لم يتخذ موقفا قاطعا إلى جانب أحدهما، بل ظل يناضل لإقناع آشر الرافض حتى دفعته الأحداث دفعا إلى قبول الفكرة وتحقيقها.

شبكة العلاقات بين شخصيات المسرحية

المرسل ← الفاعل → المستقبل

الفاعل ↕ المفعول

المساعد ← → المعارض

المفعول



يركز المؤلف في الصراع على الطبقات وليس الأفراد، أو إن شئنا الدقة يركز على الأفكار وليس الأفراد، ذلك أن المؤلف يسعى إلى كشف أسباب عدم قبول آشر فكر العمال، ويسعى إلى استحضار الأحداث التي تدفعه إلى تغيير أفكاره ممثلة في دخول أمريكا الحرب العالمية الثانية وتعرض جورج للموت، مما دفع آشر إلى الاستجابة وتغيير موقفه وتحقيق مطالب العمال وتكوين النقابة أي تحقيق فكرة الحرية والديموقراطية الصناعية.

الشخصيات والدلالات المتولدة

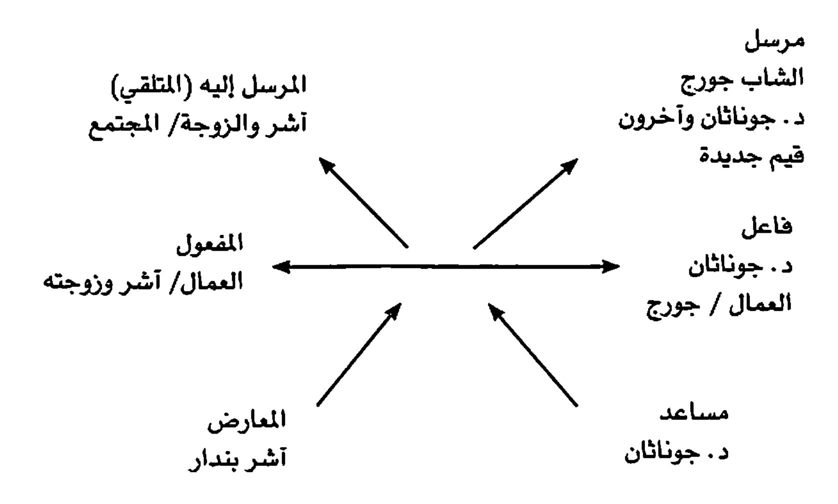
يتضمن النص المسرحي رسالة تبث عن طريق المؤلف، ثم يلتقطها المخرج ليغوص الممثل ومعه مجموعة من الإرشادات النصية لتوصيلها إلى المتلقي أي إلى القارئ غير أن الرسالة لا تصل بشكل مباشر، بل تتضمن على طول الخط مجموعة من الشفرات التي يحتاج حلها إلى إحالة مرجعية للقارئ لفك الشفرات، وبذلك فإن الشكل التالي يوضح عملية الإرسال والتلقي للنص عن طريق الشخصية (الممثل):

مرسل	رسالة ←	مرسل إليه ←
(ممثل)	وسيلة الاتصال	الجمهور
صاحب المصلحة	قراءة النص = شفرات	تعود عليه المصلحة



إن الشخصية المسرحية تكون فاعلة ومرسلة للفعل إلى المتلقي، وقد نجد من يساعدها لتحقيق المفعول وإتمام ما يترتب على الفعل طوال أحداث المسرحية أو نجد من يعارضها من الخصوم والعكس صحيح. إن عدد الشخصيات في المسرحية كثير، فقد بلغ عدد الشخصيات أربع عشرة شخصية تحمل الشخصيات الأساسية أمثال آشر وزوجته أوكستا المتمسكان بالمحافظة على التقاليد الأرستقراطية والابن جورج بندار والدكتور جوناثان بندار وهم وقود التغيير والإيمان بالعلم والديموقراطية والحرية وزعزعة كل بقايا الأرستقراطية والنظر إلى الجميع نظرة المساواة، بينما يأتي العمال وعلى رأسهم براك، رينش، هيلمان، يسعون إلى التغيير منذ البداية وبينهم تأتي شخصيات مثل ثيموثي، بيرت ابن ثيموثي وميني ابنته الذين يمثلون حلقة الوصل ما بين الرضا بما هم عليه والتطلع إلى الأعلى حتى جاءت اللحظة واستفادوا من التغيير الذي تحقق.

تحمل الإرشـادات المسرحية كثيرا من الصفات والملامح والعلامات والدلائل لشخصيات المسرحية سواء السن والشكل المادي والزي والوظيفة الاجتماعية، وكلها علامات تحيل القارئ إلى معان متعددة في النص يستطيع الوصول بعدها إلى مجموعة المعاني المتولدة، كما أن الخطاب المسرحي لشخصيات المسرحية يحمل كثيرا من المعلومات الثقافية، والاجتماعية، والنفسية، والأخلاقية، كما يكشف الخطاب عن التناقضات التي تعيشها الشخصيات في الأقوال والأفعال ما بين التمسك ببعض القيم والأفكار ثم التراجع عنها عندما يصاب المرء بأزمات، سرعان ما يتغير من ثبات على مواقفه القديمة ويعاود التفكير فيما يشغل الناس حوله. إن الشكل التالي يوضح دلالات الشخصيات وإمكانية تحليلها سيميولوجيا على النحو التالي:

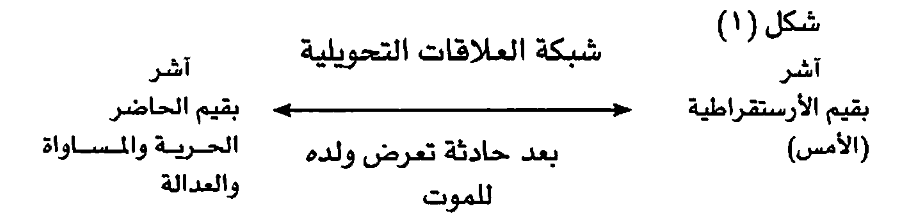


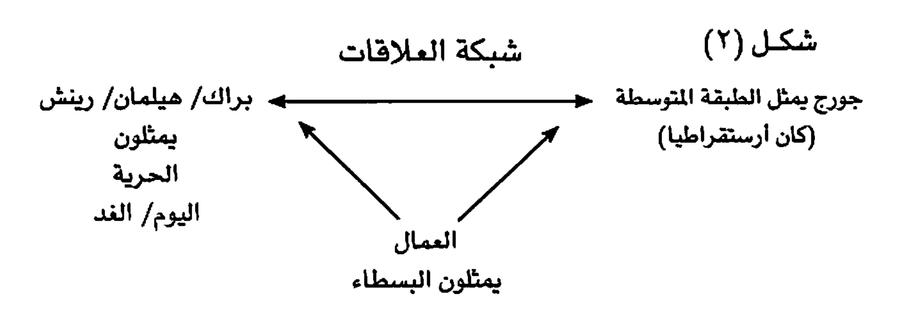
تمثل شخصية آشر الشخصية الفاعلة المتمسكة بقيم الأمس، كما لها وظيفة أخرى تمثلت في رفضها قيم اليوم قيم العلم، لكنها في النهاية تتحول استجابة لما حدث لها. أما شخصية دكتور جوناثان بوصفها شخصية فاعلة تمثل أجرومية محددة كونها تمثل العلم والثقافة، لكن لها وظيفة أخرى تمثلت في مساندتها لكل من حولها سواء العمال أو حتى آشر ليمكنها من تقبل التغيير.

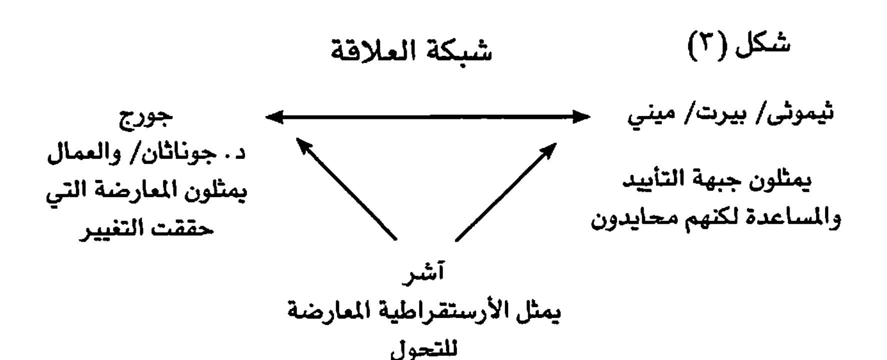
أما عن الإطار المرجعي للشخصيات فإن آشر وزوجته يمثلان الماضي البعيد بما تحمله الشخصية من دلالات تمثل أبناء الطبقة الأرستقراطية، أما دكتور جوناثان وجورج والعمال فهم يمثلون اليوم والغد بما يحملون من دلالات تعطي القارئ كثيرا من الإيحاءات عن هذه الفترة.



وهذا نموذج لثلاثة أشكال توضح سيميولوجيا ملامح الشخصية في النص:







دلالات الحوار

يعلن تشرشل مسبقا ومن خلال حوار الشخصيات إصراره على إدارة دفة الحوار بمستوى يجعلها في أحوال كثيرة متقدمة على مكانتها الاجتماعية وعلى ثقافتها، بل وعلى ما يتوقع منها القارئ خصوصا عندما يكون الجانب المعارض للفكرة الأساسية هم العمال أو من على شاكلتهم، وكأن تشرشل يود أن يزيد معرفة الشخصيات كافة بأمور الحياة قبل أن تسعى إلى تغيير عقولهم وأفكارهم.

يدلل الحوار على كثير من الدلالات والمعاني في ذهن القارئ المستقبل ويؤكد صراحة كيف ينظر «آشر» صاحب المحلات إلى العمال وما يتوقع من حواره مع ولده «جورج» في قادم الأيام:

جورج: مرحبا يا والدي.

آشر: أوه. أنت هنا يا جورج.

جورج: (ينظر إلى آشر) هل من خطب؟

آشر: (يحاول التستر) حسنا.. أليس سفرك إلى فرنسا بعد يومين سببا كافيا لغمي وهمي؟ وبالكاد جلسنا معا ثم يستطرد عندما يعلم أن ولده سيسلم على العمال قبل سفره.

قوله:

جورج: (باندهاش) لمَ لا؟ وأنت تعرف أنني كنت رقيقا طيب الصحبة معهم، كنت أدخن غليونا معهم في الظهيرة من فترة لأخرى.

آشر: أعرف هذا ولكن يجب على رب العمل ألا يخالط عماله في هذه الأيام، ص ٣٩.



يصل د. جوناثان وهو من أسرة آل بندار وابن عم الأرستقراطي آشر ويتحدث مع جورج ويدل حديثه على دخول الأمريكان في الحرب العالمية وإنهم يعدون العدة:

د. جوناثان: رأيت عددا لا بأس به من النجوم تزين علم خدمتك عندما مررت اليوم صباحا من باب المكتب.

جورج: نعم، فأكثر من أربعمائة رجل هم مسلحون هنا، ولا أفهم لماذا؟

د. جوناثان: ربما ستفهم عندما ترجع إلى الوطن.... ص ٥١.

يدل الحوار السابق على كبر حجم هذه الحرب وأن جورج المشارك فيها لا يعلم لماذا هذه الحرب، وهو حوار يدل على علم جوناثان بخطورة ما سوف يحدث.

يتطور الحوار ليكشف عن الإشكالية الأساسية للمسرحية وهي كيف يقبل «آشر» النظر إلى حقوق الغير كنظرته إلى محلاته وأعماله ومكاسبه فهو لا يرى في العمال شيئا إلا أنهم لا يعترفون بجميله وهو ما سوف يبشر بما سوف يحدث:

آشر: الحرية! إن ما نحتاجه الآن هو الترخيص! يعتقد العامل أنه يستطيع أن يفعل ما يريد....

ثيموثي: يقولون إنهم يستطيعون الذهاب إلى محل إصلاح السفن حيث سيتقاضون خمسة دولارات وثلاثين سنتا في اليوم.

آشر: دعهم يذهبون إلى هناك إذا لم يكن لديهم عرفان بالجميل.

ماذا يقولون غير ذلك! ص ٦٠.

يفكر آشر في كيفية التخلي عن مخاوفه والاستمرار في رفض طلبات العمال حتى لو استمر في موقفه المتسلط برفضه الاعتراف بالنقابة،



بل ويطلب من ثيموثي رئيس العمال والمقرب منه المحافظة على ولائه له بقوله:

آشر: لا أقصد أن أتهمك، لطالما كنت موظفا مخلصا، ومازال كذلك، ولهذا أرسلت في طلبك. أعرف ما يخططون له وأطلعني عليه.

ثيموثي: أنا لست شرطيا يا سيد بندار، فأنا مجرد عامل عادي، وهذا شيء آخر يقولونه عنك، إنك وظفت شرطة سرية كعمال نشرتهم بينهم.

آشر: (بقلة صبر) لا أطلب منك أن تصبح شرطيا كل ما

أطلبه منك أن تحذرني إن هم أضربوا...... ص ٦٢.

يستخدم المؤلف مجموعة من الكلمات في حوار آشر تدل على شخصيته وعلى صرامته في مواجهة العمال الساعين إلى تكوين النقابة، والكلمات التالية تحمل الكثير من المعاني وتدل على المرجعية الفكرية لقائلها:

آشر: سأغلق المحلات غدا. ص ٦٤.

د.جوناثان: عندما تدفع أجر الرجل يا آشر، فأنت تملكه، حتى يمتلكه أحد آخر.

آشر: (بذهول وقد استوحش قليلا للمرة الأولى) أنا أملك عمله طبعا.... ص ٦٦.

آشر: اتصلت لتوي بالوزارة في واشنطن وأخبرتهم بما يدور في بالي قلت لهم أن يسخروا العمال للخدمة العامة. تبا لهذه النقابات وما تسببه من مشاكل خصوصا في هذه الأيام عندما ستغادر... ص ٨٥.

يستمر آشر في عناده ويرفض نصيحة د.جوناثان بالموافقة على إشراك العمال في قرارات العمل وإعطائهم حصة من رأس المال والموافقة على النقابة، غير أنه يصر على موقفه:

آشر: لا أستطيع، فأنا لن أتخلى عن مبادئي.. ص ١١٦.

يعاود آشر الإصرار على عدم الموافقة على مطالب العمال وتتجدد كلماته الدالة في الموقف الذي جمعه مع د.جوناثان:

آشر: سيصم التاريخ هؤلاء الرجال بالعار مدى الحياة، سأجد حلا لهم، سأرجع إلى واشنطن، وإن كانت الحكومة ماتزال على عزمها، وإن كان هذا البلد مايزال أمريكا، فستذهب هذه الحفنة من الرجال إلى العمل أو المعركة (تقصد جلي) هذا ما آلت إليه أحلامك المثالية واشتراكيتك.... ص ١١٩.

يبدأ آشر في الانهيار بعد أن أغلقت محلاته وبدأ من حوله يخسرون أولادهم في الحرب، غير أنه مازال يصف العمال بأوصاف تساعده على إرضاء غروره:

آشر: يمكن أن تشكر هؤلاء الأرذال على ما سببوه من إضراب واضطراب.

ثيموثي: أرذال، هذه الكلمة قاسية يا سيدي.

آشر: وما هم إذن؟ بل هم أرذال وخونة! لا تقل لي يا ثيموثي إنك انحزت إليهم، وأنك خذلتني أيضا، وأنك تتعاطف مع هؤلاء المشاغبين المحرضين طبقة ضد طبقة.. ص ١٢٨.

تصل برقية تبلغ الأب أن ولده جورج جريح وأنه سيعود إلى القرية للعلاج، وهنا يشتد خوف آشر حتى يفقد صوابه بقوله:

آشر: أظن أنني وصلت إلى مرحلة لم أؤمن بها بوجود الله (وميض برق ساطع وهزيم رعد عال).

أوكستا: آشر!

ليصعقني الله إذن ! ص ١٣٨.



يطمئن آشر على ولده ويأخذ في التراجع عن موقفه حتى يفاجئ الجميع بموافقته على النقابة:

آشر: حسنا، حق أو ليس حقا، فأنا أرسلت في طلبكم لأقول لكم إنني مهتم، وإن الإضراب قد انتهى.

رينش: هل... هل ستقر بالنقابة؟

آشر: سوف..(يتمالك نفسه) سأوافق على طلبكم.. ص ١٦٩.

يحاور جورج والده ويسأل في حيرة واستغراب عن أسباب تغير موقفه فيرد الوالد بقوله:

جورج: لم فعلت ذلك يا والدي؟

آشر: سأقول لك لم يا جورج، عندما وصلت إلى المنزل في عصر هذا اليوم أدركت شيئا لم أدركه من قبل. رأيت أنني أسبح ضد التيار. وأنني مثل ذلك الملك الإنكليزي الذي أقام عرشه على الرمال وأظن أنه سيصمد أمام الماء. ص ١٧١.

أما الحوار الذي أداره جورج ود. جوناثان والعمال فيمثل الطرف المقابل الذي يحمل في طياته كثيرا من الدلالات الدالة على ما تحمله الشخصيات المعارضة لفكر آشر الأرستقراطي منها:

جورج : أعتقد أن في دمي عرقا شعبيا، فأنا أندمج مع الرعاع، هناك الكثير من الرعاع في الخنادق يا والدي. ص ٣٩.

جورج: (يتجه إلى ثيموثي ويصافحه بحرارة) يا صديقي ثيموثي!

يسرني أن أراك قبل أن أغادر. ص ٤٣.

بيرت: لا بأس! شكرا لك أيها الملازم.

جورج: أوه، لا تحدثني بالألقاب... ص ٥٧.

جورج: أهان الألمان علمنا، وقتلوا شعبنا، ويريدون السيطرة على العالم .... ص ٦٧.

جورج: بلى ستفعلون إن تضاربت مصالحنا. عندما كنت في الخنادق، كنت أداوم التفكير بالاقتباس الذي استخدمه لينكون: لن يصمد بيت تفرق أفراده، سنحاول أن نحافظ على هذا المنزل كما فعل هو. ص ١٧٣.

تعد الجمل والكلمات التي استخدمها د.جوناثان طوال المسرحية معبرة في مجملها عن هذه الشخصية وعن كيفية تفكيرها في أزمتها وأزمات من حولها والسبيل الذي استخدمته لحل المشاكل، ذلك أن دلالات الكلمات الواردة في حواراته إن وضعت إلى جوار بعضها البعض تدل على الشخصية وعلى الأطر المرجعية الدالة عليها:

دكتور جوناثان: يجب على العمل أن يشفيني في هذا المناخ. ص ٥٢.

دكتور جوناثان: قد أمروني بالرجوع إلى الصفوف الخلفية .. ص ٥٥.

دكتور جوناثان: حسنا، لقد صرح بالقضية يا آشر.

دكتور جوناثان: قضية القرن الجديد.

دكتور جوناثان: لطالما كانت الإنسانية أرخص، ولكننا ننفقها جزافا تماما الآن.

دكتور جوناثان: وهل تحب أن تكون بضاعة! ص ٦٦.

دكتور جوناثان: (يبتسم) إذن فالقضية قضية حرية الإنسان ص ٦٧.

دكتور جوناثان: الحرية الاقتصادية، والتي من دونها تكون الحرية السياسية مهزلة، الديموقراطية الصناعية. ص ٦٩.

دكتورجوناثان: فهمت.ستجعلهم يساهمون بالنصف حتى يكون لهم حصة مماثلة لحصتك.. ص ١١٣.

دكتور جوناثان: أعني أن اللحظة حلت يا آشر لتتذكر جورج، وأن فرصتك هلت فأغتنمها. ص ١١٦.

دكتور جوناثان: أن ينتهي الصراع النفسي وهو السبب الرئيسي في مشكلته. حان الوقت يا آشر الذي تختار فيه بين مبادئك وابنك. ص ١٦٤.

دكتور جوناثان: أعني أنه يجب أن تكون على استعداد أن تخبر جورج - إن تعافى - أنك تخليت عن موقفك تجاه العمال. وأنك على استعداد لتقر بالنقابة، وينتهي الإضراب.

مستويات المكان

من المتعارف عليه أن للمكان وطبيعته تأثيرا قويا وواضحا بوصفه دلالة منها نستطيع التعرف على طبيعة أدوار الشخصيات وسلوكها وأفعالها طوال أحداث المسرحية. فالمكان يتحكم بطبيعته في جو المسرحية، ومن خلال الإرشادات المسرحية الواردة نستطيع التعرف على طبيعة المكان والزمان.

ففي الفصل الأول نتعرف على المكان الذي تجري فيه وقائع الحدث المتخيل ويسمى مكان الحدث، فالمؤلف هنا يحدد قصر آشر آل بندار مكانا للأحداث، حيث يعكس القصر العراقة والفخامة من خلال الأبواب البيضاء والنوافذ الكبيرة بزجاجها المطعم بالألواح الزجاجية المربعة الصغيرة، هذا إلى جانب قدرة الجالس أو الواقف في داخل القصر على رؤية الأشجار التي تحيط بالحديقة العامة.

أما في الفصل الثاني فنتعرف من خلال الإرشادات على المكان وهو منزل متوسط بني منذ زمن بعيد يقترب مع زمن بناء قصر آل بندار، ومع ذلك ففي المنزل بعض السحر والتميز، طلي المنزل كله باللون الأبيض

وكذلك الأبواب، والمدفأة المصنوعة من الأخشاب والنوافذ التي ترى من خلالها أشجار التفاح، والمكان بشكل عام يمتلئ بموائد طويلة عليها أدوات كيميائية.

تنتقل الأحداث في الفصل الثالث إلى ما كان عليه المكان في الفصل الأول أي قصر آشر آل بندار.

إن قراءة الدلالات البصرية لطبيعة المكان في فصول المسرحية إنما يدل على طبيعة ساكنيه خصوصا في الفصل الأول حيث تقطن أسرة آشر المكان مما يكشف عن مستواهم الاجتماعي فهم أسرة ثرية تسكن القرية منذ ما يزيد عن الثلاثمائة عام، ولعل فخامة القصر ومساحته الكبيرة وعراقة محتوياته ما يعرفنا بطبيعة ساكنيه، أما في الفصل الثاني فإن الدلالات البصرية لطبيعة المكان تدل على مستوى المكان، فهو منزل بسيط حوله د.جوناثان إلى عيادة أو قل إلى مختبر لأبحاثه ومتابعة المرضى من دون مقابل، فقد فضل العلم وهو ما جعله يسعى إلى تحويل البيت إلى مرتع للعلم لتغيير حياة من حوله من الاستهلاك والتباهي إلى العلم والدخول في القرن الجديد. ويتكرر المكان بدلالاته في الفصل الثالث.

مستويات الزمان

إن القارئ للمسرحية غالبا ما يدور في ذهنه سؤال عن مستويات الزمان في المسرحية وهل تحقق المسرحية ما تم التعارف عليه من قبل الشراح والمنظرين فيما يتعلق بمقولة إن أي مسرحية تدور أحداثها في أزمنة محددة، إما في الماضي أو الماضي والحاضر أو الماضي والحاضر والمستقبل؟ ذلك أن النص هنا يتوافق مع النوع الثالث، ذلك أن الأحداث تدور في الزمن الماضي الفاعل في الحاضر، والذي لا بد أن يغيره لكي يحقق المستقبل الجديد.



تمثل المستوى الأول لزمن المسرحية في الماضي حيث عاشت أسرة آشر منذ ما يقارب الثلاثمائة عام في هذه القرية وورثت عن بعضها البعض هذا الثراء، ثم يأتي الحاضر ليمثل المستوى الثاني ويرفض فيه آشر طموحات عماله ويساندهم ابنه جورج وقريبه د.جوناثان الذين يسعون إلى تغيير الحاضر، وتأتي الحرب العالمية الثانية ويشارك الأمريكان فيها ويموت بعضهم ويعود بعضهم ويستمر العمال في إصرارهم على تكوين النقابة، ويصل التهديد بالموت في الحرب لابن آشر مما يوحي بضرورة التغيير، ثم يأتي المستوى الثالث ويقبل آشر بالتغيير وتتحقق الحرية والديموقراطية وتتكون النقابة وترفرف راية العلم مما يبشر بالغد الذي لاح أمام الجميع.

الإرشادات المسرحية في النص

قسم النقاد النص الدرامي إلى قسمين: قسم يضم النص الرئيسي وهو نص الحوار الدرامي الذي يستطيع القارئ قراءته والمشاهد مشاهدته والاستماع إليه، والنص الفرعي ونعني به الإرشادات المسرحية التي كثيرا ما تغافلها القارئ لكونها تعوق سير تتبعه لقراءة المسرحية وأحداثها وأفعالها - أقصد ما يأتي بين الأقواس.

تعكس الإرشادات كثيرا من الدلالات التي تساعد على فهم النص، فهي بداية نظم دالة تكمل بعضها البعض، وتساعد على فهم نوايا الكاتب تجاه الشخصيةعمرها، ملامحها، ملابسها، مكانتها الاجتماعية، هذا إلى جانب تعريف المخرج، والممثل، والقارئ، بل نقولها إجمالا كل من يتعامل مع الإبداع بكافة خبايا النص.

ورد في الفصل الأول كثير من الإرشادات التي نوجزها على النحو التالي:



١ - يحتوي المشهد على منزل لآل آشر، به مكتبة يدل طرازها على العراقة، فهي تعود إلى القرن التاسع عشر.

٢ - يرتدي جورج بندار ابن آشر زيا رسميا لملازم أول في الجيش. هو شاب صحيح البنية في السابعة والعشرين تقريبا، اكتست بشرته بلون برونزي بسبب الفترة التي قضاها في مخيم للتدريب، وهو ذو سجية اجتماعية مغامرة.

٣ - آشر بندار رجل طويل قوي البنية في الستين من عمره تقريبا، له شعر ولحية من لون حديدي فضي، ذو عينين حادتين يظلهما حاجبان كثيفان، وتحمل سحنته النيوإنكليزية سمات قاسية صلبة يبدو عليها الهم والحزن.

٤ - آشر: اتصلت لتوي بالوزارة في واشنطن وأخبرتهم بما يدور في بالي. قلت لهم أن يسخروا العمال للخدمة العامة. تبا لهذه النقابات وما تسببه من مشاكل وخصوصا في هذه الأيام عندما ستغادر. ص ٨٥.

٥ - آشر: هل تنصحني بأن أقر بالنقابة! وأن أعطي موظفينا حقا في التدخل في شؤوننا الخاصة بنا.

جورج: (بشجاعة) ولكن هل الحرب شأن يخصنا يا والدي! ألم تغير أشياء بعد؟ (يظهر آشر الألم والإنكار لم قاله ولده. يقترب منه جورج مناشدا) أنت تعرف يا والدي كم نحن متقاربان، وأكره أن يكون بيننا سوء فهم وخصوصا اليوم. ص ٨٧.

٦- آشر : فليضربوا وإن أحرقوا المحلات هذا العصر لن أمنعهم.! (يلوح لثيموثي مودعا) ولدي سيغادر إلى فرنسا اليوم وأنا سأغادر إلى نيويورك معه. ص ٨٨.

تتمثل الإرشادات المسرحية في الفصل الثاني على النحو التالي:

١ - المشهد غرفة كبيرة في منزل الدكتور جوناثان وقد جعلها مختبرا، على الرغم من صغر المنزل فإن فيه بعض السحر والتميز. ص ٩١.

٢ - هيلمان: نحن لا نريد أن نفعل شيئا يعيق الحرب، ولكن يجب أن نحصل على حقوقنا. ص ١٠٠.

٣ - دكتور جوناثان: دخل في النقابة عدد كبير من أصدقائكم، أليس كذلك؟ (يومئ رينس بالإيجاب) وما الذي تتوقعون أنهم يقاتلون من أجله؟ ص ١٠١.

٤ - هيلمان: (بمراوغة) لا فائدة أيها الطبيب، ما لم تقنع السيد بندار فسنغلق المحلات. ص ١٠٢.

٥ - آشر: وصلتني رسالة أخرى.

دكتور جوناثان: هذا الصباح؟

آشر: لا، بل قبل أن أرحل إلى واشنطن. لكني لم أجلبها لك لأنني أردت أن أتفكر فيها.

(يخرج من جيبه الرسالة مع ورقة مطوية، ويضع الورقة على المقعد. يعدل من وضع نظارته ويشرع في القراءة) ص ١٠٨.

٦ - آشر:

إن حدث مكروه لهذا الشاب يا جوناثان فلن يبقى لي في العالم شيء. ديموقراطية صناعية! إذن فأنت من وضع هذه الأفكار في رأسه! هذه هي الاشتراكية كما أفترض. ص ١١١.

٧ - هيلمان: صوت العمال على الإضراب ليلة أمس. لعل الدكتور جوناثان أخبرك!



٨- آشر: تصوتون على الإضراب من وراء ظهري وأنا في واشنطن أولي أعمالي اهتمامي!

٩ - هيلمان (يحاول المصالحة) أعرف أننا إن جلسنا معا وناقشنا هذه المسائل فإنك ستجدها معقولة يا سيد بندار.

١٠ - آشر: أرفض المناقشة.

(يخرج الورقة من جيبه ويمسك بها عاليا، يمسك بالورقة ويشقها إلى نصفين) ص. ١١٨ (يمزق الورقة إلى نصفين، ومن ثم إلى أربعة).

١١ - آشر: حانت اللحظة يا الهي! ستغلق محلاتي للمرة الأولى في حياتي، وفي الساعة التي تعتمد الحكومة على (ينحني الدكتور جوناثان ويلتقط قصاصات الوثيقة من على الأرض) ص ١١٩.

١٢ - (باهتياج شديد) لا أستطيع. لن أقر بنقابة العمال!

١٣ - آشر: برقية؟ لي؟

دكتور جوناثان: نعم يا آشر.

(بعد أن يعطي البرقية له يقف الدكتور جوناثان بجانب ميني التي تقف في آخر الغرفة بالقرب من المقعد، ويضع يده على ذراعها. يمزق آشر المغلف ليفتحه ويحدق النظر في البرقية، وتبدأ يداه في الارتعاش)

آشر : (يهتف) جورج !!!

أوكستا : أوه يا آشر... لم... لم..!

(تمد يدها لتأخذ البرقية، يعطيها لها، وتشرع في القراءة)

النقيب جورج بندار متأثر بجراح شديدة، وحالته تنذر بالخطر. ص ١٣٢.

أما الإرشادات المسرحية في الفصل الثالث فتتمثل في:

١ - (المشهد كما في الفصل الأول منزل آشر بندار) ص ١٣٣.

٢ - آشر: ما الخطب!

(ثم يرى ميني وبراك يتقاتلان فينحي ناحيتها. تحاول أوكستا أن تمنعه من الوصول إليهما. يحرر براك نفسه من يدي ميني ويسحب مسدسا من جيبه. تلقي ميني نفسها بينه وبين آشر الذي يتوقف هنيهة وقد صعق في مكانه لا يدري ماذا يفعل) ص ١٤٦.

٣ - براك: (يتوجه بالكلام إلى ميني، ابتعدي! قتل زوجتي، وطردني من بيتي، ولن يقر بالنقابة. سأقتله! ابتعدي؟

آشر: تنحي جانبا يا ميني، سأهتم به.

(تصرخ أوكستا، يتقدم آشر ويمسك ميني من كتفيها ويدفعها جانبا، يسدد إليه براك المسدس)

براك: أقر بالنقابة. أو سأقتلك؟ ص ١٤٧.

دكتور جوناثان: (يده على كتف براك) تعال معي يا براك إلى منزلي.

٤ - (يحاول جورج أن يستقيم في مقعده، لكن رأسه يقع إلى الوراء ويغمض عينيه ثانية، بعد ذلك يضع الدكتور جوناثان يده على ذراع دكتور فراي وكأنه يريد أن ينتحي به جانبا) ص ١٥٨.

٥ - (يشرع آشر يذرع الغرفة ذهابا وإيابا، عندما يدخل الدكتور فري من جهة اليسار)

آشر: هل هناك أمل؟ ص ١٥٩.

٦ - هيلمان: (يصعد إلى جورج) كيف حالك يا نقيب؟

فيرس: من الجيد أن نراك في الوطن ثانية.

رينش: (يصعد إلى جورج) تسرني لقياك يا نقيب في يوم كهذا. وكما قال لارز فيرسن عندما كنا سنضرب «إنه يوم مناسب لهذا» حسنا، بل هو يوم أفضل فأنت عدت إلى الوطن، وبصحة وعافية، والإضراب قد انتهى.



الدكتور جوناثان

(مسرحية من ثلاثة فصول)

تأليف: ونستون تشرشل

Winston Churchill

العنوان الأصلي للمسرحية:

Doctor Johnathan

ترجمة: حسين تقي سنبلَي

مراجعة: د. علي محمد سليمان

التحليل الفني: أ. د. أحمد صقر



الفصل الأول

المشهد : مكتبة منزل آشر بندار في فوكسون فولز، وهي قرية في نيوإنكلاند يقارب عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة، حيث قُدّر لآل بندار أن يعيشوا فيها لثلاثة أجيال. المكتبة غرفة كبيرة مهيبة بُنيت في أوائل القرن التاسع عشر، فيها أبواب بيضاء ومصنوعات خشبية برّاقة. في خلفية خشبة المسرح - التي تشكل واجهة المنزل - هناك ثلاثة نوافذ كبيرة فيها ألواح زجاجيّة مربعة صغيرة، وكوّات تناسب مصراعيّ الشباك الداخليّة. ترتفع هذه النوافذ عن الأرض ارتفاعا بسيطا بحيث يمكن لأي شخص يمشي في المرج أو في الممر خلفها أن يكون مرئيا. كما يمكن رؤية الأشجار التي تحيط بساحة القرية من هذه النوافذ أيضا. ويمكن من خلال فجوة في أوراق الأشجار أن يُلمح برج الكنيسة التي تنتمي مع المنزل إلى زمن واحد من حيث الطراز المعماري. إلى اليمين في الخلف ومع نهاية الجدار باب زجاجي يطل على المرج. هناك بابان في الجهة الأقرب إلى الخشبة، أحدهما في جهة اليمين والآخر في جهة اليسار يفضي إلى غرفة مكتب آشر بندار. إلى الخلف من الباب في جهة اليسار رف رخامي عليه ساعة وبعض التزيينات. على الجدارين في اليمين واليسار

رفوف مكتبة مملوءة بمجلدات فخمة من الكتب. فوق الرف لوحة لمدرسة بيرستادت ورثها آشر عن أبيه تصور منظرا طبيعيا تبدو فيه السماء وجبال وأنهار وشلالات وهنديان يتحدثان إلى أحد المبشرين.

الزمان : (صباح مشرق في يوم من أيام أكتوبر (تشرين الأول) من سنة ١٩١٧.

يدخل جورج پندار من الباب في جهة اليمين إلى الخلف وهو يرتدي الزي الرسميّ لملازم أول في الجيش. هو شاب صحيح البنية في السابعة والعشرين تقريبا.

اكتست بشرته بلون برونزيّ بسبب الفترة التي قضاها في مخيم للتدريب، وهو ذو سجيّة اجتماعيّة مغامرة. يلقي نظرة خاطفة على الغرفة ثمّ يشعل لفافة تبغ).

يدخل والده آشر پندار من جهة اليمين وهو رجل طويل قويّ البنية في الستين من عمره تقريبا له شعر ولحية من لون رمادي داكن، عيناه حادتان يظلّهما حاجبان كثيفان وتحمل سحنته النيوانكيزيّة[1] سمات شخصيّة قاسية صلبة. يرتدي سترة رسمية من الطراز التقليدي الذي يكشف من الأمام عن منطقة الخصر ويتدلى من الخلف بامتداد يشبه

(١) نسبة إلى New England.

الذيل وبنطالا مخططا داكنا، له صوت قويّ مدوّ. يبدو عليه الهم والقلق لكنه يبتسم بحب لدى رؤيته جورج الذي تبدو تعابير محبته لوالده واضحة أيضا.

جورج : مرحبا يا والدي!

آشر : أوه! أنت هنا يا جورج.

جورج : (ينظر إلى آشر) هل يزعجك أمر ما؟

آشر : (يحاول التستر) حسنا.. أنت مسافر إلى فرنسا، لقد منحوك يومَي إجازة فقط، وأنا بالكاد تمكنت من رؤيتك. ألا يكفي هذا؟

جورج : أعرف كم أنت مشغول بهذا العقد الحكومي الذي بين يديك. أتمنى لو أستطيع المساعدة!

آشر : أنت الآن مجنّد يا بني، ويمكنك أن تساعدني عندما تعود.

جورج : أريد أن أقضي بعض الوقت في المحلاّت لأودّع بعض الأصحاب هناك.

آشر : لا، لا يجب أن تفعل هذا يا جورج!

جورج : (باندهاش) لمَ لا؟ وأنت تعرف أنّني كنت رفيقا طيّب الصحبة معهم، كنت أدخنّ الغليون معهم في الظهيرة من فترة لأخرى.

آشر : أعرف هذا، ولكن لا يجب على رب العمل أن يخالط عماله في هذه الأيام.



جورج : أعتقد أنّ في داخلي نزعة شعبيّة، فأنا أندمج مع العامة. هناك الكثير منهم في الخنادق يا والدي.

آشر : يخضعون للانضباط العسكريّ.

جورج : (يضحك) يُفترض أنّنا نخوض حربا من أجل الديموقراطيّة. كنت أتحدث مع بينز العجوز البارحة وهو مايزال قادرا على أن يدير مخرطة، وكما تعلم فقد خاض الحرب الأهليّة، وكان يخبرني كيف كان الفتيان في كتيبته يتوقفون ليلتقطوا التوت البريّ في طريقهم إلى معركة بول رن[1] Bull Run.

آشر : هذه هي الديموقراطيّة! إنّها ما نفعله الآن، الكف عن جمع التوت البريّ. دخلت البلاد الحرب منذ ستة شهور. منذ شهر أبريل (نيسان) لا أسلحة ولا عتاد، بل مجرد حفنة من الرجال في فرنسا، بينما العالم يحترق!

جورج : حسنا، نحن لم نخن بلاد العم سام بعد. هناك ما يزعجك يا والدي.

آشر : لا .. لا، لكنّ الرجال في واشنطن يغيرون من مهماتي في كل أسبوع، ومن بين كلّ أيام الأسبوع سيصل جوناثان اليوم.

جورج : هل وصل الدكتور جوناثان؟

(١) نهر صغير في الولايات المتحدة الأمريكيّة في فرجينيا حصلت بالقرب منه معركتين مهمتين من معارك الحرب الأهليّة الأمريكيّة، وكانت النتيجة في كلتيهما الفوز لقوات النقابة ١٨٦١ - ١٨٦٢.



آشر : لم أقابله بعد، ويبدو أنّه سيصل إلى هنا هذا الصباح من دون برقيّة أو أي شيء لإعلامنا. لقد قاموا بتوضيب وترتيب منزله من دون استشارتي. لا بدّ أنّه رجل غريب الأطوار مثل والده عمّك الأول هنري پندار.

جورج : أخبرني عن الدكتور جوناثان. إنّه عالم، أليس كذلك؟ قرّر فجأة أن يعود ويعيش في منبت رأسه.

آشر : هذا بسبب صحته، فقد كان رقيق البدن مثل طفل، وأظنّ أنّه كان في الثامنة أو التاسعة عندما غادر العم هنري فوكسن فولز متجها إلى الغرب، كان هذا قبل أن تولد. مات العم هنري في مكان ما من ولاية آيوا. لم يكن يتفق مع والدي قط لأنّهما كانا متشابهين في الطباع. تمكن من إرسال ولده إلى مدرسة الطبّ، ويبدو أنّ له موقعا ما في أعمال البحث في جونز هوپكنز[1] أنا لا أعرف كيف يدبّر أمر معيشته.

جورج : لا بدّ أنّ العم هنري محبّ للخير.

آشر : من الجيد أن تكون محبّا للخير عندما يكون ما تحصل عليه أكثر مما تهبه، وإلاّ فأنت عاطفيّ.

جورج : أو مسيحيّ.

آشر : لا يمكن أن نأخذ المسيحيّة حرفيّا.

(١) جونز هوپكنز ١٧٩٥-١٨٧٣ أحد رجال المال الأمريكيين والعاملين في المشروعات الخيرية. أسهم في نصيب وافر في نمو سكك حديد بلتيمور وأوهايو. أصبح مديرا لها في سنة ١٨٤٧. أسس في سنة ١٨٦٧ مستشفى مجانيا، وجامعة جونز هوپكنز في بلتيمور.



جورج : (يبتسم) إنّ هذا مزية من أفضل مزايا الدين.

آشر : يا جورج! لن أقول شيئا بينما أنت ذاهب للقتال من أجل بلادك يا بنيّ، لكنّ تشكّك بالدين ورفعك الكلفة مع الأُجراء هو ما يقلقني. أقرّ بأنّني كنتُ أحيانا أشعر بالخوف من أن تتبع خطى والد جوناثان، فهو لم يذهب قط إلى الكنيسة، ونسي أنّه يدين بشيء لانتمائه إلى آل بندار. اعتاد الناس بمختلف أصنافهم على ارتياد منزله، وكانت فسحة بيته تمتلئ بأطفال قذرين يأكلون فواكه أرضه ويقطفون أزهارها. هناك ما يمكن أن يكون ديموقراطيّا أكثر من اللازم. آمل أن أكون أمريكيّا صالحا مثل البقية، وأؤمن بأنّ أي شخص عاقل حسن التدبير ليس له في الارتقاء من بدّ. لكن يجب أن ينتظر. ستكون آمرا على الرجال، وعندما ستعود ثانية إلى هنا وتباشر العمل ستكون رجلا ذا نفوذ. تذكّر ما أقوله لك، فإن أعطيت هؤلاء إنشا أخذوا منك كلّ ما تملك.

جورج : (يضع يده على كتف آشر) هناك شيء يقلقك يا والدي. كنّا دائما أصدقاء مقربين، أليس كذلك؟

آشر : بلى، منذ كنتَ شابا يافعا. حسنا يا جورج، أنا لا أريد اليوم أن أضجرك بهذا. يبدو أنّ المشاكل حلّت في محلاّتنا، وفي كلّ الأماكن الأخرى. مضى على

حصولها فترة طويلة من الزمن. سخط واستياء، مع أنّهم يتقاضون أجرا عاليا، أجرا عاليا جدا. يريدون مني أن أقرّ بالنقابة[1].

جورج : حسنا، هذا أمر مزعج، ظننت أنّنا فوق مشاكل العمل هنا في نيو إنكلند.

آشر : (بغضب). أوه! أستطيع معالجة هذه المشاكل.

جورج : أنا واثق من ذلك، فأنت رجل محنّك خبير. إنّه مالك، وهذا عملك وأنت وضعته كلّه تحت تصرّف الحكومة. بأي حق يعيثون خرابا والمعركة دائرة؟ يجب أن أقول إنّني لا أتعاطف معهم أبدا.

آشر : (بفخر). أعتقد أنّك في النهاية من أبناء آل پندار الحقيقيين يا جورج.

(يدخل خادم كبير في العمر من الزاوية اليمنى الأمامية).

الخادم : تيموثي فاريل، رئيس العمال هنا.

(يدخل تيموثي من الزاوية اليمنى الأمامية. هو أيرلندي ضخم الجثة في نحو الستين من عمره، ويرتدي ثياب العمل).

تيموثي : ها أنا يا سيدي. أرسلوا يقولون إنّك تريدني.

جورج : (يتجه إلى تيموثي ويصافحه بحرارة). يا صديقي تيموثي! يسرني أن أراك قبل أن أغادر.

---

(١) يقصد نقابة العمال.



تيموثي : وأنـا يسرّني أن أراك أيضا يا سيد جورج قبل أن تغادر. ها أنت ضابط الآن! أتذكّرك تماما وأنت طفل يدفعونك بعربتك تحت الأشجار هناك. كان ولدي بيرت يقول في هذا الصباح تماما إنّنا افتقدناه في المحلات هذا الصيف. لقد أحبك الرجال يا سيد جورج ودخلت في قلوبهم. كنت أفكّر منذ لحظة أنّه لو كان السيد جورج هنا لما عانينا كل هذا العناء.

جورج : من وراء هذا يا تيموثي؟ رينش؟ هيلمان؟ اعتقدت ذلك. حسنا، هما ليسا سيئان إن تعاملت معهما عن كثب.

(ينظر إلى ساعة يده)

دعني أنزل وأتحدث معهم يا والدي. لدي متسع من الوقت، فلن يغادر قطاري حتى الواحدة والنصف.

آشر : (بنفاد صبر وبعصبيّة) لا، أنا سأعالج المسألة يا جورج، فهذا عملي. هلمَّ تعال إلى مكتبي يا تيموثي.

(يهزّ تيموثي رأسه، ويتبع آشر إلى خارج الباب في جهة اليسار).

يذهب جورج بعد لحظة ناحية أقصى الزاوية اليسرى للغرفة حيث كُدّست عدّة أشياء. يخرج كيس العُدَّة، ومن ثمّ بعض الثياب الضرورية وألبسة داخلية وجوارب وكنزة... إلخ... ثمّ يُخرج علبة



كبيرة وفخمة من أدوات الطعام ومَدْبسة[1] كُتب عليها الأحرف الأولى من اسمه ووسادة سفريّة صغيرة تحمل أيضا الأحرف الأولى من اسمه وحقيبة كتانيّة للحمّام مطرّزة بالأزرق. من الواضح أنّ هذه الأشياء الأخيرة هدية من سيّدة صديقة معجبة. يُخرج أخيرا بدلة نجاة مطاطيّة. يتظاهر بأنّه يضع كلّ هذه الحاجيات في الحقيبة بما في ذلك البدلة ويُظهر شعورا خاصا اتجاه الوسادة والمَدْبَسة وحقيبة الحمّام. وأخيرا يبعثر ببطء كل الحاجيات على الأرضية ويتفحّص فوضى الأشياء بيأس مُتَصَنَّع، عندما تظهر فتاة في المرجة خارجا من خلال إحدى النوافذ. ترمي الفتاة إلى داخل الغرفة طردا صغيرا مربوطا بمنديل، ومن ثمّ تختفي. يلتقط جورج الطرد وتعلو وجهه علامات الاندهاش، ثمّ يخرج من الباب الخلفي الأيمن فجأة وهو يركض. يعود بسرعة وهو يجرّ فتاة من رسغها وهي تقاوم جرّه.

ميني فاريل فتاة في الحادية والعشرين من عمرها تقريبا ذات شعر أسود وهمّة عالية. كل ما ترتديه هذه الفتاة من ثياب هو تقليد لتلك الثياب الباهظة الثمن التي يمكن أن تشتريها من مؤسسات محددة

(١) شيء كالوسادة الصغيرة تُغرز فيها الدبابيس.



موجودة في العاصمة. يتوهج عقد من اللآلئ المزيفة على بشرتها المشرّبة بالحمرة.

مينى : كفّ عن هذا يا جورج! (تنظر حولها نظرة شاملة) فإذا وجدتني أمّك هنا فسترسلني إلى الإصلاحية (تحرر يدها منه).

جورج : تُرى ومن أين جئت؟ (ينظر إليها نظرة إعجاب) هل هذه هي ميني فاريل الصغيرة التي غادرت فوكسن فولز منذ سنتين؟ يا الله! يا لأناقتك!

ميني : هل أعجبك؟ أنا أجني مالا جيدا منذ بداية الحرب.

جورج : هل تعجبينني؟ ما الذي تفعلينه هنا؟

ميني : شقيقي بيرت في الخارج هناك، هو في عُطلة من العمل اليوم. أرسل السيد پندار في طلب أبي، وأتينا إلى هنا معه. أين هو؟

جورج : (يومئ برأسه باتجاه غرفة المكتب) هناك. ولكن ماذا تفعلين هنا في فوكسن فولز؟

ميني : أوه! أزور مهد طفولتي.

جورج : (يمزق غلاف الطرد الورقيّ) هل صنعت هذا من أجلي؟ (يمسك بين يديه زوجا من أحزمة الرسغ الصوفيّة ذات لون رماديّ).

ميني : حسنا، أردت أن أصنع شيئا لجندي، وعندما سمعت أنّك ستذهب إلى فرنسا فكّرت أن تأخذهما معك.



جورج : كيف عرفت أنني ذاهب إلى فرنسا؟

ميني : أخبرني بيرت البارحة عندما عدت إلى المنزل. يقولون إنّ الجو بارد في الخنادق، ولا شيء يبقي اليدين دافئتين كالأحزمة، وأنا أعرف هذا لأنّني كنت أرتدي زوجا منها في صباحات الشتاء عندما كنت أذهب إلى العمل. هل سترتديهما يا جورج؟

جورج : بلى (يلبسهما) ولن أخلعهما حتى تنتهي الحرب.

ميني : (تشعر بسرور) يا لك من خفيف الظل!

جورج : أخبريني يا ميني، لِمَ هربتِ مني منذ سنتين؟

ميني : هربت منك؟ بل غادرت لأنّني لم أعد أطيق هذه القرية؛ فهي هادئة جدا.

جورج : أنتِ تمزحين! لقد غادرتِ بينما كنت أنا خارج القرية من دون أن تقولي لي شيئا عن هذا، وبعد أن عرفت مكانك وأسرعت بسيارتي إلى نيو كاسل خذلتِني خذلانا شديدا.

ميني : أنا لست رهنا لك. كان هناك الكثير من الفتيات اللواتي يناسبنك في تلك الحفلة المنزليّة التي حضرتها.

جورج : لم يكنّ ندّات لك، فأنت لديك المراس.

ميني : ومازلت كذلك.

جورج : ظننت أنّك تهتمين لأمري.

ميني : لطالما كنت واثقا من نفسك يا جورج.



جورج : أنتِ تصرفتِ وكأنّك كذلك.

ميني : أنا ممثلة جيدة. قل لي، ماذا كان ينتظرني هناك؟ هل كان ينتظرني حزم الأدوات في محلات پندار وأنت ابن ربّ عملي؟ لم تكن تريد مني إلاّ ما كان يريده كل الرجال.

جورج : كنت متيّما بك.

ميني : (تقع عيناها على وسادة السفر وعلى المدبسة فتلتقطها جميعها على التوالي) أعتقد أنّك أخبرتهم بهذا أيضا.

جورج : (بإحراج) أوه! يبدو أن شعبيتي تزداد عندما أهمّ بالرحيل. لا ألقى أي اهتمام منهن.

ميني : (تشير إلى الأحزمة) أنت لا تريدها، سأعطيها لبيرت.

جورج : لا، لن تفعلي.

ميني : كنت حمقاء. لكنّنا أمضينا وقتا ممتعا يا جورج، أليس كذلك؟ (تشيح بوجهها برشاقة وتلتقط بدلة النجاة) ما هذا؟ زي رسميّ كامل؟

جورج : عندما تنال منك غواصة، كلّ ما عليك فعله هو أن تقفزي من على متن المركب ثمّ تنفخين هذه.. (يسحب الصفارة من الجيب ويبدأ بالنفخ فيها، لكنّها تمسك بيده).. وتظلّ هكذا تطوف حتى تلتقطك إحدى المدمرات.



(يُخرج من جيب آخر صندوقا معدنيّا يوضع فيه طعام الغداء).

هذا من أجل شطيرة بيت دي فوي كراز، ويوجد هنا مكان لـِ ... (يشير إلى جيب آخر).. لزجاجة من المشروبات الغازيّة. هلمَّ معي يا ميني، يمكنك أن تبحري معي كممرضة في الصليب الأحمر وسأشتري لكِ واحدة. لن يكون المحيط الأطلنطيّ مكانا سيئا وأنتِ معي، ولا شيء سيستعجلنا حتى ننفخ الصفّارة، كما أنّ هذا الزيّ الأبيض سيناسب فتاة ظريفة مثلك.

ميني : ألا أعجبك بهذا الزيّ؟

جورج : بلى لكنك أجمل في ذاك.

ميني : إن قررت ذلك فسأكون ممرضة جيدة، وسأعتني بك جيدا يا جورج كما تعتني بك أيّ واحدة منهن.
(تومئ برأسها إلى الوسادة والمدبسة).

جورج : بل أفضل! (يمسك بيديها ويحاول أن يجذبها نحوه) لم تكوني تمانعين من قبل!

ميني : ليس هناك من سبب.

جورج : لمرة واحدة فقط يا ميني، فأنا راحل.

ميني : لا، أنا لم أقصد أن آتي إلى هنا، أردت فقط أن أراك كيف تبدو في هذا الزيّ. (تبتعد عنه في اللحظة التي يظهر فيها الدكتور جوناثان في المدخل في الجانب



الأمامي الأيمن). وداعا يا جورج.

(تخرج من المدخل الخلفي الأيمن).

(لا يمكن معرفة عمر الدكتور جوناثان، لكنّه في نحو الخامسة والثلاثين. له جبهة عالية فوق عينيه مثل جباه المفكّرين، وتدل ملامح وجهه على سنوات من الكدح والكدّ، كما تدلّ على تعافيه بعد مرض.

تتجلى في عينيه ابتسامة وضّاءة مع أنّها جدّية. ينتحي الآن ناحية جورج الذي يُدهش عندما يراه).

دكتور جوناثان : مرحبا! أخبروني أن آتي إلى هنا. آمل أنّني لا أتطفل.

جورج: على الإطلاق. منذ متى وأنت هنا؟

دكتور جوناثان : ما يكفي من الوقت حتى اهتديت إلى هنا. أتيت هذا الصباح.

جورج: أوه! هل أنت.. هل أنتَ الدكتور جوناثان؟

دكتور جوناثان : أنا جوناثان، وأعتقد أنك جورج.

جورج: نعم. (يذهب إليه ويصافحه) عذرا منك لأنّني كنت سأهمّ بالذهاب في الساعة التي أتيتَ فيها.

دكتور جوناثان : سأكون هنا عندما تعود.

جورج: آمل ذلك. لن تجد فوكس فولز بلدة قديمة سيئة.

دكتور جوناثان : وستصبح أفضل بعد أن تعود.

جورج: لِمَ تقول ذلك؟

دكتور جوناثان : (يبتسم) مجرد تخمين.



(ينظر الدكتور جوناثان إلى كومة الأشياء على الأرض).

جورج : (يبتسم بحرج). لعلّك تتخيلني أعمل في تجارة الحاجيات الرجالية بدلا من ذهابي إلى الحرب. (يلتقط بدلة النجاة). بعض أصدقاء أمي أخبروها عن هذه وأصرّت أن ترسل في طلبها من أجلي. لا أريد أن أجرح شعورها، لكنني لا أستطيع أخذها بالطبع.

(يلّف البدلة ويدفع بها تحت الأريكة الموجودة في أقصى اليسار).

لن تشي بي، أليس كذلك؟

دكتور جوناثان : على الإطلاق.

جورج : سيكون والدي هنا في أي لحظة، إنّه مع تيموثي فاريل، رئيس العمال المسنّ. يبدو أنّ الفوضى تعمّ المحلات. بئس الرجال من يسبب المشاكل في هذه الأيام، ألا تعتقد ذلك؟ خصوصا أن البلاد في حالة حرب. اللعنة على عدم الوطنية.

دكتور جوناثان : رأيت عددا لا بأس به من النجوم تزين علم خدمتك عندما مررت اليوم صباحا من باب المكتب.

جورج : نعم، فأكثر من أربعمائة رجل مسجلون هنا للخدمة العسكرية، ولا أفهم لماذا.

دكتور جوناثان : ربما ستفهم عندما ترجع إلى الوطن.



جورج : تقصد...

(يقاطعه دخول والدته من الباب الخلفي الأيمن. اسمها أوكستا بندار، سيدة في الخمسينيات من عمرها بشعر يغزوه اللون الرماديّ. حياتها الريفيّة الرتيبة كزوجة لآشر أكّد وصقل آراءها التقليديّة التي اكتسبتها من نيو إنكلند، كما أكدّ أيضا قناعتها بأنّ مهمتها هي توجيه حياة البائسين ممن حولها إلى الأفضل. تحمل حياكتها بيدها المكونة من زوج جوارب لجورج، وتتجه مباشرة إلى الدكتور جوناثان).

أوكستا : إذن أنت جوناثان. أخبروني أنّك وصلت. لماذا لم تأتِ إلينا؟ هل تظن أنّه من الحكمة أن تسكن في بيت والدك القديم قبل أن يدفنوه لعدّة أيام؟

دكتور جوناثان : (يمسك يدها)، آه! سأسكن مع أبواب ونوافذ مفتوحة!

أوكستا : يا للهول! أفهم أنّك كنت مريضا جدا، وأنّك لم تكن طفلا قويا. جعلت من زيارة المنزل البارحة أمرا يهمّني، ويجب أن أقول إنّه يبدو مريحا. لكنّ النجار وعامل التمديدات أفسدا غرفة الاستقبال بذلك المقعد والحوض الموجود في الزاوية. ماذا ستفعل هناك؟

دكتور جوناثان : سأحوله إلى ما يشبه المختبر.



أوكستا	:	لا تقل لي أنّك ستقوم بأي عمل فيه!
دكتور جوناثان	:	العمل يمكن أن يشفيني في هذا المناخ.
أوكستا	:	هل تعني ممارسة الطب؟ كان عليك أن تستشيرنا. أخشى أنّك لن تجد هنا ما يعود عليك بالربح يا جوناثان، لكنّ والدك كان أيضا رجلا غير عمليّ. ماتزال فوكسن فولز مكانا صغيرا على الرغم من أنّ المحلاّت قد كثرت. عائلات العمال لا تستطيع تحمّل دفع أجور كبيرة كما تعرف.
دكتور جوناثان	:	(يبتسم) أعرف.
أوكستا	:	كما أنّ لدينا هنا طبيبا رائعا، الدكتور سِن.
دكتور جوناثان	:	لن أتدخل في عمل الدكتور سِن.
جورج	:	(يضع يده على كتف أوكستا)، ويتكلم بلهجة اعتذار تشعرين يا أمي بالمسؤولية تجاه جميع الرجال والنساء والأطفال في فوكسن فولز. ما كنت لأشعر بقلق بخصوص الدكتور جوناثان لو كنت مكانك يا أمي، فعندي يقين أنّه يستطيع أن يعتني بنفسه.
أوكستا	:	(يخيّب أملها ثقة الدكتور جوناثان، وتجلس وتبدأ بالحياكة) يجب أن أنتهي من هذا الزوج لتأخذهما معك يا عزيزي. إلى الدكتور جوناثان لا أستطيع أن أقتنع أنّه ذاهب! (إلى جورج) أنت لم توضّب كل أغراضك بعد! أين بدلة النجاة التي طلبتها؟
جورج	:	(يحدق بالدكتور جوناثان) ضاعت يا أمي!



أوكستا : يصيبه البرد بسهولة دائما، فإن أغرق هؤلاء الألمان الأشـرار السفينة ستبقيه هـذه دافئا وجـافا. لكنّ هداياك يا جورج! (إلى الدكتور جوناثان) صنعتها له أخوات أصدقائه في الجامعة.

جورج : (مستمتعا ولكن محرجا) لن استطيع أن أكون في الخنادق وأنا أرتدي مثل هذه.

أوكستا : يا للفتيات اللطيفات! تمنيت لو تزوّج إحداهن. من حاك لك أحزمة الرسغ هذه؟ لم أرها من قبل.

جورج : (يأخذ الأحزمة ويضعها في حقيبته) أوه! لا أستطيع أن أتخلى عنها! كنت أجربها للتو لأرى إن كانا يناسباني.

أوكستا : متى وصلا؟

جورج : (يرمق الدكتور جوناثان) هممم .. هذا الصباح.

(يدخل آشر وتيموثي من غرفة المكتب من جهة اليسار. ومن الظاهر أنّ آشر قد أُنهك من حديثه مع تيموثي).

آشر : تذكّر يا تيموثي أنّني أعتمد على رجال عقلاء مثلك ليضعوا حدّا لهذه الفوضى.

أوكستا : ها هو جوناثان.

آشر : آه! (يذهب باتجاه الدكتور جوناثان ويصافحه، مع أنّه من الواضح أنّه مايزال مشغول البال بالمشاكل في المحلّات). أنا سعيد بعودتك إلى فوكسن فولز يا جوناثان. سمعت بوصولك، وكنت سأهمّ بالمرور

لرؤيتك ولكنّ الفوضى هنا حالت من دون ذلك.

دكتور جوناثان : ليس هنا فقط، بل في كل مكان.

آشر : أنت على حق. فالبلد في طريقه إلى الخراب، ولا أعرف ماذا سيصلحه.

دكتور جوناثان : الذكاء والعقل المنفتح والتعاون يا آشر.

آشر : (ينظر إليه) هممم!

دكتور جوناثان : (يتركه ويذهب إلى تيموثي) ألا تذكرني يا تيموثي؟

تيموثي : بالطبع يا سيدي، أنا أذكرك جيدا، مع أنّك كنت طفلا صغيرا. أنت تذكّرني بوالدك، ابتسامتك مثل ابتسامته. كان رجلا طيبا عظيما، وأنا سعيد لعودتك إلى فوكسن فولز.

دكتور جوناثان : نعم، فقد أمروني بالرجوع إلى الصفوف الخلفيّة.

تيموثي : إلى الصفوف الخلفيّة، أليس كذلك؟ أعتقد أنّنا سنخوض هذه الحرب في فوكسن فولز أيضا.

دكتور جوناثان : بلى، فإنّ معظم الحرب ستقع وراء خطوط المعركة.

أوكستا : هل تظن أنّ الألمان سيدخلون إلى هنا؟

دكتور جوناثان : لا، لكنّ الحرب دائرة منذ الآن في هذا المكان. (يلتقط الدكتور جوناثان كُبَّة الصوف التي وقعت على الأرض منذ لحظة).

أوكستا : (تنظر إليه بتوجس وحيرة) شكرا يا جوناثان. (تدور باتجاه تيموثي الذي بدأ يسير باتجاه الباب في الجهة اليمنى الأمامية).

انتظر لحظة يا تيموثي، أريد أن أسألك عن أولادك. ما أخبار ميني؟ لطالما اهتممت لأمرها كما تعرف، وخصوصا عندما كانت في قسم التوضيب في المحلاّت، كما كانت تحضر دروس الدين في صفّي. أقدّر لك أنّك سمحت لها بالحضور، وأنت الأيرلندي الكاثوليكيّ.

تيموثي : تخلت عني الكنيسة واعتبرتني كافرا يا سيدتي عندما تزوجت من طاهيتك، وهي امرأة بروتستانتيّة.

أوكستا : بدأ يساورني القلق على ميني منذ غادرت إلى نيو كاسل. كانت ذات حيوية كبيرة، وأخشى أنّها تتبع هواها مع أنّها تظهر متمسكة بالدين بكل ما في روحها. أين هو جيمسي؟

تيموثي : تقولين جيمسي؟! لقد غرق في السوء تماما، دائما يشرب. ترك المحلاّت عندما بدأت مناوبات الاثنتي عشرة ساعة. عادت ميني البارحة من نيو كاسل في زيارة يا سيدتي، إنّها في الخارج الآن مع بيرت.

أوكستا : أدخلهما، أريد أن أراهما. خصوصا ميني. لا بدّ أن أقول إنّني تفاجأت أنّها رجعت من دون أن تزورني.

تيموثي : سأجلبهما يا سيدتي.

(يخرج من الباب الأيمن الخلفي. يتجه جورج والذي كان متضايقا بوضوح خلال هذا الحديث إلى الباب الأيمن الأمامي).

أوكستا : إلى أين أنت ذاهب يا عزيزي؟



جورج : (يتوقف) فكّرت أن أرى إن كنت قد نسيت شيئا يا أمي.

أوكستا : لتبقى معنا، فلديك متسع من الوقت.

(يرجع تيموثي داخلا من خلال الباب الأيمن الخلفي مع بيرت ولكن من دون ميني).

تيموثي : اختفت كليّا يا سيدتي، كل دقيقة في مكان كما هي حال معظم شباب هذه الأيام. ستعود إلى نيو كاسل عصر هذا اليوم إلى عملها في صناعة الأسلاك.

أوكستا : يجب أن أراها قبل أن تذهب، أشعر بأنّني مسؤولة عنها نوعا ما. هل ستخبرها بذلك؟

تيموثي : سأخبرها.

أوكستا : كيف حالك يا بيرت؟

بيرت : بخير، شكرا لكِ يا سيدة پندار.

(تدخل الخادمة من الجهة اليمنى الأمامية).

الخادمة : السيدة ثيروب ترغب في التكلّم معك يا سيدتي.

أوكستا : (تجمع حياكتها) إنّه بخصوص الصوف للصليب الأحمر.

(تخرج من الجهة اليمنى الأمامية).

جورج : (يصافح بيرت) مرحبا يا بيرت، كيف الحال؟

بيرت : لا بأس، شكرا لك أيها الملازم.

جورج : أوه، لا تحدثني بالألقاب!



(يبلغ بيرت فاريل من العمر نحو الثانية والثلاثين. يرتدي قميصا بنيّا من قماش صوفيّ ناعم وربطة عنق زرقاء وبدلة جاهزة أنيقة. يمسك بقبعته أمامه. هو أمريكيّ أيرلنديّ متين الخَلق والخُلق، ذو عينين زرقاوين، وهو من صنف الرجال الذين ماتوا في ساحة المعركة التي جرت في فرنسا، والذين يمكن أن ترى صورهم في جرائدنا).

آشر : أنت لا تعمل اليوم يا بيرت؟

بيرت : غادرت المحلّات يا سيد پندار، فرغت من عملي هناك الليلة الماضية.

آشر : غادرت المحلّات! لم تخبرني عن شيء من هذا يا تيموثي!

تيموثي : لا يا سيدي، فعندك اليوم من المشكلات ما يكفيك.

آشر : (إلى بيرت) لِمَ غادرت؟

بيرت : سأذهب لأسجل اسمي في القوات البحريّة يا سيد پندار. أعتقد أنني أحب أن أنضم إلى البحريّة ممّا سمعته من هؤلاء الشبّان.

آشر : (خَنِقٌ) ولكن لماذا تفعل شيئا كهذا وأنت تعرف أنّني بحاجة لكلّ رجل هنا ليساعدني في تشغيل هذه الآلات، خصوصا لشبّان من أمثالك يتقنون الميكانيك؟! إذا أردت أن تخدم بلدك فكان من الأفضل أن تبقى في عملك السابق. كنت أعفيتك .. (يتمالك نفسه) أعني أنّك معفى من الفرز العسكريّ.



بيرت : لا أريد أن أُعفى من الفرز يا سيدي. رحل أكثر من أربعمائة من الشباب من المحلّات بالإضافة إلى السيد جورج، وأنا لم أعد أطيق الأمر أكثر من ذلك.

آشر : وما علاقة السيد جورج بهذا؟ فالمسألتان مختلفتان.

بيرت : (بجسارة) أخالفك الرأي يا سيد پندار، كلّ رجل وبغض النظر عمّن يكون له الحق أن يقرّر شيئا كهذا بحق نفسه.

جورج : بيرت على حق يا والدي.

آشر : تقول أنّه على حق حتى عندما تعرف أنّني أحتاج كل يد عاملة لتنفيذ العقد؟!

جورج : هو سيلتزم بعقد أيضا، سيتخلّى عن كل ما يملك.

آشر : وأنت وافقت على هذا يا تيموثي؟

تيموثي : بالطبع، فأنا لا أستطيع منعه يا سيد پندار! أنا فخور به مثلما أنت فخور بالسيد جورج لأنه سيقاتل من أجل أمريكا والحرية.

آشر : الحرية! إنها التجاوزات ما نجنيه الآن! يعتقد العامل أنّه يستطيع أن يفعل ما يريد. بعد أن قدّمت لعمالي كل ما يحتاجونه .. بنيت لهم ناديا فيه بيانو، ومكتبة، وطاولة للبلياردو، وسعيت بكل جهدي أن أجعلهم مرتاحين راضين. دفعت لهم ما يكفي من المال

ليشتروا آلات البيانو وطاولات البلياردو لأنفسهم، وأنت تخبرني أن ضرائبهم ماتزال مرتفعة. جونز هوپكنز ١٧٩٥-١٨٧٣ أحد رجال المال الأمريكيين والعاملين في المشروعات الخيرية. أسهم في نصيب وافر في نمو سكك حديد بلتيمور وأوهايو. أصبح مديرا لها في سنة ١٨٤٧. أسس في سنة ١٨٦٧ مستشفى مجانيا، وجامعة جونز هوپكنز في بلتيمور.

تيموثي : يقولون إنّهم يستطيعون الذهاب إلى محل إصلاح السفن حيث سيتقاضون خمسة دولارات وثلاثين سنتا في اليوم.

آشر : دعهم يذهبون إلى هناك إذا لم يكن لديهم عرفان بالجميل. ماذا يقولون غير ذلك؟

تيموثي : إنّك تملك عقدا ويدرّ عليك الملايين.

آشر : ماذا يعرفون عن ربحي؟

تيموثي : هذا كل شيء يا سيدي، فهم لا يعرفون شيئا مطلقا. ولكنّهم يقولون إنّهم يجب أن يعرفوا بما أنّ الأمور مختلفة الآن، وأنّهم يعملون من أجل الحرب ومن أجل البلد مثلك تماما.

آشر : ألم أقرر لهم نظاما للحوافز أشاركهم به أرباحي؟

تيموثي : هم لا يفهمون هذه الحوافز وكيف يحصلون عليها.



إنّ الكلمة التي يستخدمونها هي حكم استبداديّ(1)، ويقولون إنّك طلبت منهم ومن دون علمهم أن يعملوا ورديتين طويلتين، بدلا من الورديات الثلاث ذوات الثماني ساعات. يقولون إنّهم مستعدون للعمل اثنتي عشرة ساعة متواصلة من أجل الحرب بشرط أن تستشيرهم في ذلك.

آشر : وما شأنهم بهذا؟

تيموثي : شأنهم أنهم هم من سيقوم بالعمل الشاق يا سيدي. تم عقد اجتماع الليلة الماضية كما فهمت مع رينش وهيلمان ومندوب من نيوكاسل يلقي الخطابات، وتوصلّوا إلى أنّ الطريقة الوحيدة ليحصلوا على حقوقهم هي أن تعترف أنت بالنقابة.

آشر : أنا لن أعترف بنقابة أبدا! لن أقبل أن يملي عليّ غرباء وفضوليّون ومحتالون أوامرهم.

تيموثي : أنا أعمل عندك منذ ثلاثين عاما يا سيدي مع حلول ديسمبر (كانون الأول)، وقد كنت بالنسبة إلي ربّ عمل جيد. أنا لا أوافق على النقابات، وأنت تعرف ذلك جيدا يا سيدي، وإلاّ ما كنت طلبت نصحي. أنا أخبرك بما يقولون.

---

(1) Autocracy Shrapnel



آشر : لا أقصد أن أتّهمك، لطالما كنت موظفا مخلصا وماتزال كذلك، ولهذا أرسلت في طلبك. اعرف ما يخطّطون له وأطلعني عليه.

تيموثي : لست مخبرا يا سيد بندار، أنا مجرد عامل عادي، وهذا شيء آخر يقولونه عنك، أنّك وظّفت مخبرين كعمال نشرتهم بينهم.

آشر : (بنفاد صبر) لا أطلب منك أن تكون مخبرا، كلّ ما أطلبه منك أن تحذّرني قبل حدوث أي إضراب.

تيموثي : حذرّتك يا سيدي، وإن كان ذلك من أجل هزيمة الألمان، هؤلاء الأشرار القذرون.

جورج : (يتحول إلى بيرت) أتمنى لك حظا سعيدا هنا يا بيرت، وآمل أن نلتقي هناك. أنا أعرف شعورك جيدا، فأنت تريد أن تشارك في الحرب مثلي تماما.

آشر : (يلتفت) لعلّني تكلّمت أكثر مما كنت أعنيه يا بيرت. علي أن أعمل لتدور هذه الآلات حتى يحصل جنودنا على قنابل متناثرة[1] يقاتلون بها. لقد ضاق صدري بهؤلاء الرجال عديمي الضمير الذين استغلوا هذا الموقف. لن أستطيع أن أتمسك بشبان مستقيمين من أمثالك، شبّان فيهم الكثير من التعقّل والوطنيّة حتى يتورطوا مع صانعي المشاكل. لكنّني أيضا أتفهّم مشاعرك، فأنا نفسي رغبت في أن أذهب.

(١) قنبلة تنفجر وتتناثر من داخلها كرات معدنية قاتلة.



كان يمكن أن تستشيرني، لكنّ مكانك سيظلّ شاغرا عندما تعود.

بيرت : شكرا لك يا سيدي. (يقلّب قبعته بين يديه) ربما من العدل أن أخبرك يا سيد بندار أنّني أملك بطاقة نقابيّة في جيبي.

آشر : أنت! تيموثي ابن فاريل!

تيموثي : ماذا؟ ولا تخبرني!

بيرت : (إلى تيموثي) لِمَ لا أنضم إلى النقابة؟ أخذت البطاقة هذا الصباح، عندما رأيت أنّ هذه هي الطريقة الوحيدة لنحصل على ما نريد. ليس لدينا أي فرصة ضد أرباب العمل من دون النقابة.

تيموثي : ليساعدني الله، أن أفكّر في أنّ ولدي سينضم إلى النقابة وأنّه سيصبح جنديا!

بيرت : (ينظر نظرة سريعة إلى جورج) أعتقد أنّه سيكون هناك رجال نقابيّون في الخنادق بجانبي.

آشر : جنود أو غير جنود، لن أوظّف أحدا انضم إلى النقابة.

جورج : (باضطراب) حسبك يا والدي!

آشر : أنا أعني ما أقوله، فأنا لا أهتم به كائنا من كان.

بيرت : (يتمالك نفسه مجددا) لو سمحت يا سيد بندار أود أن أطرح عليك سؤالا. سمعت الرجال يتحدثون عن هذا في المحلّات. أنت لا تحبّذ أن نترك العمل للذهاب إلى القتال، لكن إن انضممنا إلى النقابة



ستطردنا بغض النظر عن قلّة العمال لديك.

آشر : هذا مبدأ أعمل به. لن أسمح لأيّ جهة خارجيّة بأن تملي عليّ ما أفعل.

بيرت : حتى وإن أصبحت المسألة خيارا بين اعتراف بالنقابة أو إغلاق للمحلات؟

آشر : سأغلق المحلات غدا.

(يومئ جورج وكأنّه سيقاطعهما).

بيرت : هذا ما أشير إليه يا سيد بندار، تقول إنّك ستغلق عملا بمبدئك إن حصلت الحكومة على الآلات أم لا. ويقول الرجال إنّهم سينضمون إلى النقابة وفق مبدأ أيضا إن حصلت الحكومة على الآلات أم لا. أرى أنّ الأمرين يعوقان الحرب من أجل مبدأ، والسؤال هو، أيّ من المبدأين يتفق مع ما نقاتل من أجله؟

آشر : لا ينضم رجل إلى النقابة من أجل مبدأ بل من أجل الابتزاز. أنا لا أستطيع أن أناقش هذا الأمر الآن. لا لن أفعل.

بيرت : أنا آسف يا سيدي.

(يلتفت ليخرج من جهة اليمين الأمامية)

جورج : (يدركه ويمسك بيده) سأجدك هناك يا بيرت.

بيرت : (يحدّق به) حسنا يا سيد جورج.

جورج : وداعا. لا تقلق بشأن الشاب يا تيموثي.

تيموثي : أنا فخور أنّني تركته يذهب يا سيد جورج، لكنّني لا



أستطيع أن أتخيل كيف ينضم إلى النقابة من دون أن يخبرني.

(يقف هنيهة مضطربا وهو ينظر إلى جورج بينما يشتته التناقض بين الولاء إلى رب عمله وبين حبه لولده ثمّ يخرج ببطء من الباب الأيمن الخلفي. كان الدكتور جوناثان طوال تلك الفترة يقف في الخلف من الغرفة، وكان ينظر إلى جورج بين الفينة والأخرى. يتقدّم الآن إلى الأمام بتواضع ولكن بثقة).

آشر: لم أتوقع أن أسمع مثل هذا الكلام من ابن تيموثي فاريل .. ظننته شابا متزنا. (إلى الدكتور جوناثان) ما رأيك بما سمعت؟

دكتور جوناثان : حسنا، لقد صرّح بالقضية يا آشر.

آشر : قضية ماذا؟

دكتور جوناثان : القرن الجديد.

جورج : قضية القرن الجديد.

آشر : أنت على حق، يجب أن نُخضِع هؤلاء الناس، فبعد الحرب سنقدر على ضبطهم، ومن ثمّ سيتوافر لنا عمّال أرخص أجرا.

دكتور جوناثان : لطالما كانت الإنسانيّة أرخص، ولكنّنا ننفقها جزافا الآن.

آشر : هل تقصد أنه سيكون هناك ندرة في العمالة، وأنّهم سيستمرون بابتزازنا لندفع لهم تلك الأجور المثيرة للغضب؟



دكتور جوناثان : عندما تدفع أجر الرجل يا آشر، فأنت تملكه إلى أن يتركك متحولا إلى أحد آخر.

آشر : (بحيرة وقد تملكه الشك قليلا للمرة الأولى) أنا أملك عمله طبعا.

دكتور جوناثان : ومن ثمّ تمتلك جسده وروحه. لعلّه يكره أن يُعامل كبضاعة.

آشر : هكذا هو العمل.

دكتور جوناثان : وهل تحب أن تكونَ بضاعة؟

آشر : أنا؟ لا أرى علاقة لهذا بموضوعنا. هؤلاء الرجال ليس لديهم أي اعتبار أو امتنان تجاه الطريقة التي تعاملت بها معهم.

دكتور جوناثان : أليس هذا ما يعترضون عليه؟

آشر : يعترضون على ماذا؟

دكتور جوناثان : على طريقة المعاملة.

آشر : يعترضون على حسن المعاملة؟!

دكتور جوناثان : بل على التبرع.

آشر : حسنا، ما الفرق؟

دكتور جوناثان : هو الفرق بين احترام الذات والتبعية.

آشر : هل .. هل أنت اشتراكيّ؟

دكتور جوناثان : لا، أنا عالم.

(يقف آشر وهو يحدّق به عندما تدخل الخادمة من الجهة اليمنى الأمامية)

الخادمة : مكالمتك الخارجية إلى واشنطن يا سيدي.

آشر : حسنا.

(عندما شرع في الخروج توقف ونظر إلى الدكتور جوناثان ثانية، ومن ثمّ غادر الغرفة فجأة من جهة اليمين الأمامية وهو يلحق بالخادمة).

جورج : (الذي كان يرمق الدكتور جوناثان بعد لحظة من التردد) تبدو وكأنّك تظنّ أنّ هناك شيئا ما يجب أن يُقال بخصوص موقف العامل يا دكتور جوناثان.

دكتور جوناثان : ما هو موقفه يا جورج؟

جورج : سمعت ما قاله بيرت منذ لحظات. أظنّ أنّه لم يكن محقا، لقد أحرج والدي العجوز عندما اتهم رب العمل بأنّه أعاق الحرب. في النهاية ما العمل سوى السعي إلى أجل المزيد من المال، أليس كذلك؟ هم يستغلّون موقفا حرجا للحصول على المال، وعندما يحصلون عليه فإن معظمهم سينفقه على العربدة.

دكتور جوناثان : في سبيل ماذا أنت ذاهب للقتال في فرنسا؟

جورج : أهان الألمان عَلَمنا وقتلوا شعبنا ويريدون السيطرة على العالم.

دكتور جوناثان : (يبتسم) إذن فالقضية قضية حريّة الإنسان.

جورج : نعم!

دكتور جوناثان : وتظنّ أنّ كلّ رجل وامرأة في هذا البلد حرّ؟

جورج : كل فرد يستطيع أن ينهض إن امتلك الإرادة.



دكتور جوناثان : وماذا تقصد ببينهض؟

جورج : أن يجني المال ويؤسس عمله الخاص ويكون حرّ نفسه.

دكتور جوناثان : وبكلمات أخرى أن يصبح حرّا.

جورج : (يقطّب) يمكنك أن تقول كذلك.

دكتور جوناثان : المال يكسبه الحريّة، أليس كذلك؟ المال يمكّنك من دخول الجامعة حتى تصبح في الرابعة والعشرين، وتتعلّم وتتثقف، كما كانت الحال.

جورج : كما كانت الحال!

دكتور جوناثان : أعطاك المال حرية الاختيار في أن تمارس مهنة تهواها وتحقق لك الكرامة. كما مكنك أيضا من أن تلهو من حين لآخر، إن أردت ذلك يا جورج.

جورج : في بعض الأحيان.

دكتور جوناثان : لكنّ هذا التوق للتسلية وتمضية الوقت والمغامرة ليس أمرا نتميز به أنا وأنت وحدنا. العمال والعاملات لديهم هذا أيضا.

جورج : أعتقد أنّك رجل حكيم.

دكتور جوناثان : لا، ليس كذلك. لكنّني اكتشفت أنّنا أنت وأنا لا نختلف كثيرا عن تيموثي فاريل وأبنائه وعن بيرت وجيمسي وميني.

جورج : (متفاجئا ينظر حوله ليتبع نظرات الدكتور جوناثان نحو النافذة) ماذا تعرف عنهم؟

دكتور جوناثان : لا شيء بشكل مباشر. لكنني أستطيع أن أفهم لماذا سيذهب بيرت إلى الحرب ولماذا أدمن جيمسي على الكحول ولِمَ غادرت ميني فوكسن فولز.

جورج : من اللافت أن تستطيع ذلك!

دكتور جوناثان : وأنت تستطيع يا جورج، فعندما تعود من فرنسا ستعرف من أجل ماذا كنت تقاتل.

جورج : من أجل ماذا؟

دكتور جوناثان : الحريّة الاقتصاديّة، والتي من دونها تكون الحرية السياسيّة مهزلة. الديموقراطيّة الصناعيّة.

جورج : الديموقراطيّة الصناعيّة! حسنا، لم تدخل في مقررات دراستي في هارفرد.

دكتور جوناثان : لسوء الحظ، يبدأ تعليمنا بعد أن نترك هارفرد مع بيرت وجيمسي وميني .. وها هي ميني الآن.

جورج : (بسرعة) سأغادر. أمي تريد أن تتحدث معها.

دكتور جوناثان : (يده على ذراع جورج) لا .. انتظر.

(تدخل أوكستا من جهة اليمين الأمامية تتبعها ميني فاريل. تغمز ميني بعينها جورج حالما تدير أوكستا ظهرها إليها فيراها وينظر إلى الدكتور جوناثان. تجلس أوكستا وهي تحمل حياكتها في كرسي ذي ذراعين. يبدو على هيئتها موقف المحقق وتخاطب ميني بنبرة غير ملزمة، ويبدو ضيقها واضحا من رزانة ميني وثقتها الكبيرة بنفسها).



أوكستا	:	هل تذكرين السيد پندار يا ميني؟
ميني	:	(بوقار) يسرني لقاؤك يا سيد پندار. سمعت أنّك ستغادر لخوض الحرب، هذا عظيم.
جورج	:	(يشدّ على يدها فتنقبض من ألمها قليلا) أوه! نعم، أنا أتذكر ميني.
أوكستا	:	وهذا هو الدكتور جوناثان پندار.
ميني	:	(كانت ترمق الدكتور جوناثان كعدوّ محتمل مع تحفّظ) يسرني لقاؤك بالتأكيد.
دكتور جوناثان	:	(يبتسم لها عندما يأخذ يدها) يسرني أنا كذلك.
ميني	:	(بقليل من الحيرة) سررت لمقابلتك.
دكتور جوناثان	:	أتيت لأعيش في فوكسن فولز، وآمل أن نكون أصدقاء.
ميني	:	آمل ذلك. سأعود عصر هذا اليوم إلى نيو كاسل، فليس لدي ما أفعله هنا.
دكتور جوناثان	:	هل ستبقين إن كان هناك ما تفعلينه؟
ميني	:	لا أعرف .. ماذا يمكن أن أفعل هنا؟
أوكستا	:	(بنظرة رفض تعاين أزياء ميني) لا أظنّ أنّني أعرفك هكذا يا ميني.
ميني	:	توافقني حياة المدينة يا سيّدة پندار، لكنّني احتجت إلى بعض الراحة، وأتيت إلى هنا لأرى كيف أصبحت الحياة في القرية.
دكتور جوناثان	:	نوع من الترفيه العاطفيّ يا ميني.



ميني : (تلقي بنظرة خاطفة على كل من جورج والدكتور جوناثان) حسنا، يمكنك أن تقول هذا.

أوكستا : ما هي الكنيسة التي تصلّين فيها في نيوكاسل؟

ميني : حسنا، ليس لدي كرسيّ خاصّ في أيّ كنيسة يا سيدة بندار.

أوكستا : أنا لم أتوقع منك أن تنفقي مالا لتحصلي على كرسي هناك. آمل أنّك سلّمت الرسالة التي بعث بها قِسّيسنا معك إلى قِسيس الكنيسة الأولى في نيوكاسل.

ميني : لا، لم أفعل يا سيدتي، وهذه هي الحقيقة، فلم أقترب من كنيسة قط.

أوكستا : (تكلّمها بجفاء) مؤسف أنّك ذهبت إلى نيوكاسل كما أعتقد.

ميني : يا لها من مدينة! في كل مرة تذهبين إليها تقرئين لافتة تقول: «أهلا بكم في نيوكاسل، تعداد السكّان فيها مئة ألف وستة آلاف، وهو في ازدياد في كل يوم. رافقتكم السلامة وشكرا لكم!».

أوكستا : (وهي تحييك) أنت تجوبين المنطقة بسيّارة!

ميني : أوه.. أحيانا أذهب في جولات ممتعة.

أوكستا : يؤسفني أن أسمعك تتحدثين هكذا. كنت أعرف أنّك تحبين المتعة، فقد رأيت فيك ميولا إليها، مع أنّك بدوت تحترمين الدين عندما كنت تحضرين مواعظي الدينية. أدمن أخوك جيمسي على الخمر...



ميني : وأنا أدمنت على الدين. كان قصدك أن تكوني لطيفة معي يا سيدة پندار، وأنا أشكرك على ذلك. لكنّني أدركت الآن لماذا أدمن جيمسي على الخمر.

أوكستا : (مستهجنة قولها) ميني!

ميني : كلانا كان يحاول أن يكون حرّا، وأن ينجو.

أوكستا : أن تنجو؟ ممّ؟

ميني : (بإيماءة تدلّ على عدم الجدوى) أعتقد أنّه من الصعب عليكِ أن تفهمي ما أقوله يا سيدة پندار، لكنّني كنت أعمل عشر ساعات يوميّا في توضيب الأدوات في متاجرك، وكلّ ما أعطيتيه عندما حقّ الحقُّ هو يسوع.

(صمت، يتقدّم جورج خطوة نحوها).

لا أقول شيئا بحقّه، لكن كان له حياته وأنا أريد حياتي. لعلّه فهم هذا .

(تدور باتجاه الدكتور جوناثان باندفاع)

أحسب أنّك تفهم.

أوكستا : لا أستطيع أن أسمح لكِ يا ميني أن تتحدثي عن الدين بهذه الطريقة في حضوري.

ميني : أعتذر يا سيدتي. كنت أعلم أنّه لا فائدة من القدوم إلى هنا ومقابلتك. أخبرت والدي بهذا .

أوكستا : أفترض أنّك إن كنت عازمة على المضي في حياة الـ ... (تتمالك نفسها) فلن أستطيع منعك.

ميني : (بامتعاض شديد) أيّ حياة؟ لا تقلقي بشأني يا سيدة بندار، فأنا أجني خمسة وعشرين دولارا أسبوعيّا في (شيل ووركس) أصنع أسلاك الشصوص[1] لاصطياد الألمان، وهو ما يكفيني لشراء ثياب بهيّة (تنظر إلى ثوبها)، وأطعمة شهيّة، وأقضي وقتا ممتعا أيضا.

أوكستا : (يبدو أن مفهومها حول النوع الذي تنتمي إليه ميني من الناس قد تغير) ماتزالين تعملين؟

ميني : أعمل! بالطبع ماأزال أعمل. لن أُذعن لأي رجل. كما أنّني لا أتذمر من قليل من العمل الإضافيّ. أنا أعمل لما يناضل هو من أجله (مشيرة إلى جورج) ليس من أجلي فقط، بل من أجل كل أحد ليس حرا في كل أنحاء العالم. (متوجهة إلى الدكتور جوناثان) أليس هذا صحيحا؟ (لم تنتظر حتى يومئ برأسه موافقا). كنت أقول هذا الصباح (تنظر باتجاه جورج وتتماسك) .. كم تمنيت أن أفعل المزيد. أن أكون ممرضة أمرّض بعض الشبان.

أوكستا : ممرضة!

ميني : (تتوجه إلى الدكتور جوناثان) لو كنتُ رجلا لأصبحت طبيبا، مثلك تماما. لا يزعجني المرضى، فقد نذرت

---

(١) جشصٌ: حديدة معقوفة يصطاد بها السمك.

نفسي لهم. ولطالما قالت والدتي قبل وفاتها عندما كانت مريضة أنّه عليّ أن أكون ممرضة. صمت حسنا، أعتقد أنني سأتابع قدُما.
لم يمنحني رئيس العمال سوى يومين إجازة لأرى مدينتي القديمة.

جورج : حسبك يا ميني!

ميني : ما الأمر؟

جورج : (إلى أوكستا) أنا وميني صديقان قديمان يا أم.

أوكستا : صديقان قديمان؟

جورج : نعم، عرفتها قبل أن تغادر فوكسن فولز، وذهبت إلى نيوكاسل واصطحبتها معي في جولة في سيارتي.

ميني : (باهتياج) لا، لم تفعل!

جورج : لِمَ تتكرين الأمر؟

ميني : هذا ليس صحيحا.

أوكستا : (مصدومة) جورج!

جورج : حسنا، هذا صحيح. أنا لست خجلا ممّا فعلت، مع أنّ ميني تبدو كذلك.

ميني : (تكاد تبكي) إن لم تكن خجلا ممّا فعلت، فلماذا لم تخبر والدتك من قبل؟ وأنا لست خجلة من ذلك أيضا، فما حصل أمر طبيعيّ.

أوكستا : (بعد صمت وبجهد ومشقة لتواجه الموقف) حسنا، أعتقد أنّ الرجال يختلفون. لكن لا عذر لك فيما فعلت بعد كل ما فعلته من أجلك.



ميني	:	الحمد لله أنّ الرجال يختلفون!
		(تنهض أوكستا. تسقط كبّة الصوف على الأرض ثانية، ويلتقطها الدكتور جوناثان).
جورج	:	كان بودي يا والدتي أن أخبرك بهذا الأمر. أنت لا تفهمين.
أوكستا	:	أخشى أنّني أفهم تمام الفهم يا عزيزي.
		(عندما تغادر الغرفة بكبرياء يحدّق جورج بالدكتور جوناثان مستنجدا).
دكتور جوناثان	:	يتوجه إلى ميني ويمسك بيدها أتعتقدين أنّ لديك بعض الوقت لتأتي لزيارتي قبل أن يحين موعد سفرك؟
ميني	:	(ترنو إليه وتقول بعد لحظة) بالطبع! أعتقد أنّني أرغب في أن أتحدث معك.
دكتور جوناثان	:	إنّ بيتي هو ذاك البيت الأبيض الصغير قرب الساحة.
ميني	:	أوه! أعرفه .. كانت أبوابه مغلقةً طول هذه السنين.
دكتور جوناثان	:	أبوابه مفتوحة الآن ثانية.
		(يخرج من الجهة اليمنى الأمامية، ويعمّ المكان صمت قصير وهما يراقبانه وهو يخرج).
ميني	:	قل لي من هذا؟
جورج	:	لماذا؟ إنّه ابن عمّي.
ميني	:	لا أقصد هذا. إنّه شخصيّة معروفة، أليس كذلك؟



جورج : لعمري إنّني بدأت أظنّ أنّه كذلك!
(يقفان ويرنو أحدهما إلى الآخر)

ميني : (تتذكر ما تعرضت له من ضيم باضطراب) والآن ها قد فعلتها وأخبرت أمك أنّنا صديقان.

جورج : لكنّنا صديقان، أليس كذلك؟ لم تتوقعي مني في مثل هذه الظروف أن أبقى صامتا!

ميني : هي تعتقد أنّني لست جديرة بالكلام معك، وهذا ليس أمرا أهتم به، بيد أنّني كنت أحبها حبّا جما، فقد كانت طيبة معي بطريقتها تلك، وشعرت بسوء شديد عندما غادرت إلى نيوكاسل مع رسالة إلى قسّ لم أره قط. ستعتقد .. وأنت أدرى بما ستعتقده، وهذا ما سيزعجها. إنّها أمك، وأنت ستغادر، لعلّك تبقى.

جورج : لا أستطيع أن أبقى. إن فعلت فماذا يمكن أن تفكري بي؟

ميني : ما أفكره بك لن يفرق في شيء.

جورج : بلى.. سيفرق معي، وسيغيّر قليلا من طريقة تفكيري في نفسي. يبدو أنّني أتعلّم الكثير من الأشياء الجيدة هذا الصباح.

ميني : منه؟

جورج : تقصدين الدكتور جوناثان؟

ميني : بلى.



جورج : (يتفكّر فيما قالته) لا أدري. تعلّمتها منكِ. من الجميع!

ميني : لعلّه بصّرك بها.

جورج : حسنا، لا أشعر بهذا، ورؤيتك هذا الصباح ثانية أعادت إلي كلّ ذلك.

ميني : لم تفعل إلاّ الخداع والمواربة.

جورج : أقرّ بأنني بدأت كما تقولين، لكنّني أخبرتك بأنّني لم أقابل فتاة مثلك قط. كنتِ فتاة نشيطة، شجاعة، كنتِ شيئا لا أستطيع أن أصفه لكِ، وكنتُ متيّما بكِ .. نعم هذا صحيح. لكنني لم أدرك هذا إلاّ بعد أن تركتِ المدينة، مع أنّني لحقت بك، لكن لم يكن هناك من فائدة في ذلك. أنا لا أدّعي أنّني أنصفتك، وقد بدأت أفكّر في مسؤوليتي عمّا حصل.

ميني : مسؤوليتك عن ماذا؟

جورج : حسنا.. دفعتك إلى أن تضيّعي نفسك في نيوكاسل.

ميني : (بغضب) أضيّع نفسي؟

جورج : بلى. ألم تهربي؟ ألم تقضي أوقاتا سعيدة؟

ميني : لِمَ لا أقضي أوقاتا سعيدة؟ هذا ما كنتَ أنتَ تفعله. تقضي أوقاتا سعيدة معي، أليس كذلك؟ ثمّ قل لي، ألم تفكّر ولو لمرّة واحدة كيف يمكن أن يكون يوم واحد في حياة فتاة تعمل؟

جورج : يوم واحد؟



مينـي : مع ساعة منبّه توقظك فزعا من أحلام جميلة تحلمها في الشتاء، والظّلام يلفّ المكان، ثمّ تنهض وترتدي ملابسك في جو بارد، ثمّ تسخّن القليل من القهوة فوق حرارة فانوس، ومن ثمّ تذهب إلى المعمل.
حيث تقف طول الصباح في ضجيج يصمّ الآذان تغذي أشياءً لا تهمك أبدا. أشياءً لا تحتاج إلى الراحة قط[1]! وعندما تحلّ الساعة الحادية عشرة تظنّ أنّك أعييت إعياءً شديدا وأنّ الصباح لن ينتهي أبدا، لكنّك تتقاضى عند الظهر خمسة وعشرين قرشا تكفيك حتى الخامسة عصرا تقريبا. بعدها لا تعرف في أي اتجاه تدور الآلة. لطالما ظننت أنّ أحد تلك القطّاعات في شيل هي وحش من الوحوش يترصدك عندما تكون منهكا مكدودا لا تستطيع أن تهتمّ بها. (وكأنّها في حلم) كأنّها سحابة تُغشي، وتريد أن تضع يدك فيها.

جورج : يا الله يا ميني!

مينـي : وعندما تصفر الريح ليلا لا تجد إلاّ حُجرة في نُزُل تفوح منه رائحة دخّان وكرنب[2] نتنة. الشوارع هي الأماكن الوحيدة التي تستطيع أن تذهب إليها، لكن لا بدّ لك من الذهاب إلى مكان ما لتشعر بحرية

(١) تقصد الآلات.
(٢) تسمية في العامية (ملفوف).



وتستمتع ولو قليلا، مع أنّك تعب منهوك القوى لا تريد إلاّ أن ترمي بنفسك على السرير وتبكي.

(صمت)

ربما سبب ذلك أنّك متعب، فكلّما كنت متعبا رغبت أكثر في أن تقضي وقتا ممتعا. الأمر مضحك، لكنّه كذلك.

(صمت)

لا أصدقاء لك إلاّ بضع فتيات يعشن في حجرات مثلك تماما، وعندما تُسنح لك فرصة لقليل من المرح فلن تضيّعها كما أظن.

جورج : (بعد صمت) لم أعرف كيف هي حياتك قط.

ميني : ولِمَ تفعل والأصدقاء يحيطون بك وكلّ ما تشتهيه رهن إشارتك؟ لكن أقول لك إنّه مذ بدأت الحرب أصبحت قادرة على الذهاب إلى السينما أو المسرح من فترة إلى أخرى، وأن أشتري ثيابا بهية، ولم أعد أُجهد نفسي في عملي كما كنت. لا أريد شيئا من أي أحد، فأنا أستطيع أن أعتني بنفسي. إنّه المال الذي يحرّرك.

جورج : المال!

ميني : عندما نظرتُ إلى هذه الغرفة في هذا الصباح، ورأيتك واقفا هنا في زيّك، قلت في نفسي: «لقد تغيّر». ليس ذلك معناه يا جورج أنّك لم تكن لطيفا



وطيبا وكريما، لكنّك لم تعرف. وكيف لك أن تعرف؟ لم تحظ بفرصة لتتعلم شيئا!

جورج : (يشعر بامتعاض لكنّ لا يستطيع منع ابتسامته) هل هكذا هو الأمر؟

ميني : أتذكر تلك الليلة الأولى التي التقيتك بها. كنت عائدة إلى منزلي من متاجرك فبادلتني الغرام من فورك، ثمّ أخذنا نتلاقى عند حوض السقاية في شارع ليندون lindon. كنّا حينها أطفالا. لم أكن أهتم إن كنت متعبة أم لا، فكنت أتخطى تعبي عندما أراك. لقد كنت حبل آمالي.

جورج : أخبريني يا ميني ما الذي جعلك ترجعين إلى فوكسن فولز اليوم؟

يمسك بيدها

ميني : (تجاهد لتخلّص يدها) إيّاك يا جورج! إياك أن تتصرف معي كحمقاء ثانية!

(تصفر صفّارة المحل. تبتعد وتتكفئ عنه راجعة إلى المدخل في الجهة اليمنى الخلفية)

هذه صفارة الظهيرة! وداعا. سأظلّ أفكّر فيك هناك.

جورج : سأراسلك يا ميني، فهل تراسليني؟

ميني : (تهزّ برأسها موافقة) لا تقلق بشأني. حظا سعيدا يا جورج!



(تذهب إلى المدخل في الجهة اليمنى الخلفية ثمّ تدور وترسل قبلة إلى جورج بيدها وتختفي. يذهب إلى المدخل ويرنو إليها، يرفع يده من فوره ويلوّح مودّعا ردّا على إشارة منها ثمّ يبتسم. يظلّ واقفا في مكانه حتى تختفي ميني عن الأنظار، وعندما يهمّ بالرجوع إلى الغرفة يظهر رجل على الممشى. هذا الرجل هو پراگ. هو عامل هزيل ذو عظام وجنات ناتئة وبريق خاص في عينيه الزرقاوين. يقف ساكنا وهو يحدق في المنزل).

جورج : (يناديه) هل تريد أي شيء يا پراگ؟

پراگ : أتيت لألقي نظرة على منزلك حيث تسكن. لا ضرر في هذا، أليس كذلك؟

جورج : لا، على الإطلاق.

(يتابع پراگ تحديقه في المنزل ويذعن جورج إلى دافع ما مفاجئ).

ألن تدخل يا پراگ؟

پراگ : (يرنو إلى المنزل) لا .. سأبقى هنا.

جورج : ادخل قليلا. لا تكن غير اجتماعي هكذا.

(يعبر پراگ المرج ويدخل من الجهة اليمنى الخلفية. يتفحص المكان بفضول ثمّ ينظر إلى جورج بزيّه وهو ينزل).

أنت في عطلة اليوم؟



پراگ : (واجما) خسرت وظيفتي، ألم تسمع بذلك؟ لا، فليس في هذا الأمر ما يهمّك وأنت ذاهب لتقاتل من أجل الحرية، أليس كذلك؟!

جورج : كيف حصل هذا؟

پراگ : أتى رئيس العمال إليّ أمس وقال: «سمعت أنّك انضممت إلى النقابة يا پراگ، لذا فأنت مطرود».

جورج : (بعد لحظة من التردد) ولكن .. هناك الكثير من فرص العمل الشاغرة هذه الأيام. يمكنك أن تذهب إلى الساحل وتجني أكثر من خمسة دولارات يوميًا في ورشة لصناعة السفن.

پراگ : نعم. هذا سهل عندما تمتلك بيتا أو ترتهن بيتا ويكون لديك أولاد يذهبون إلى المدرسة هنا وزوجة تعاني مرضا مزمنا.

جورج : أنا آسف. ولكن ألم تكن أمورك كلها على ما يرام هنا ما عدا مرض زوجتك؟ أنا لا أريد أن أتطفل، فهذا شأنك، لكن لو تخبرني لماذا انضممت إلى النقابة.

پراگ : لماذا التحقت بالجيش؟ لتقاتل من أجل شيء تهبه حياتك، أليس كذلك؟ وأنت جندي هكذا، هل تفرّ من رفاقك لتعيش آمنا مطمئنا؟ لا! وهذه هي حالتي. خسرت عملي، وتركت عائلتي، وهذا ليس من أجلي، بل من أجل الجميع، من أجل أن يعمّ الخير على الناس وتعمّ الحرية على الجميع.



جورج : إذن، أنت تظنّ أن بلدنا هذا ليس بلد حريّة.

پراگ : عندما أبحرت من ميناء نيويورك منذ عشرين سنة مضت، ورأيت أنّ الحريّة تسطع في الشمس، ظننت أنّها بلد حرية. لكنّني الآن أعرف أنّها بالنسبة إلى العمال كامرأة نورمبرگ[1] الحديديّة بأشواكها المعدنيّة عندما تمسكك بين يدها. سمّني خائنا عندما أقول ذلك.

جورج : لا، بل أريد أن أفهم.

پراگ : أنا ولدت في باڤاريا، لكنّني أمريكيّ صالح مثل البقية، حتى إنّني أفضل منك لأنّني أعرف لماذا أقاتل ولمن أعاني وأكابد. أنا لا أخشى اليونكرز[2] هنا لأنّ فيهم الشهامة، أمّا الألمان في موطني فلا شهامة لديهم. تظنّ أنّك تقاتل من أجل الحرّية والديموقراطيّة، لكنّك تقاتل من أجل هذا (يلوّح بيده ليشير إلى الغرفة). لو كان لدي مليون من الدولارات لربما قاتلت من أجلها أيضا، لا أدري.

جورج : إذن، تظنّ أنّني أقاتل من أجل المال؟

پراگ : هل ستقاتل من أجلي، أو من أجل العمال وأطفالهم؟ لا، فأنت تريد أن تحافظ على مالك وتجني المزيد من عقود الحرب التي أبرمتها. الرأسماليّة هي التي

---

(١) مدينة في ألمانيا الغربيّة شرقي باڤاريا.

(٢) Junker احد افراد النبلاء الإقطاعيين قديما في بروسيا الألمانيّة.



تقاتل من أجلها.

جورج : بالله عليك، إنّ لرأسمالنا علينا بعض الحق.

پراگ: أعلم أنّ المال يعني القوة. ما الذي صوّت العمال ضده؟ هل صوّتوا ضد صحفك ونظامك؟ لن تتحرر أمريكا ما لم تخسروا مالكم مصدر قوتكم. أنتم لا تحبون الملوك ولا الأباطرة، أنتم تقولون لنا: «أيّها العمّال أنتم لستم وطنيين، بل أنتم خونة إذا لم تعملوا وتقاتلوا وتريحوا هذه الحرب من أجل الديموقراطيّة ضد الملوك». أترانا حمقى لنهتمّ بالملوك؟ سيسقط الملوك لوحدهم. والآن يمكنك أن تضعني في السجن.

جورج: الله يعلم أنّني لا أريد ذلك. كيف تدبرت الأمر؟

پراگ: لِمَ لا يقول ربّ العمل لعمّاله: «هذه حربنا جميعا. إليكم العقد الذي أبرمته، وهذه هي أرباحي، لن يكون بيننا أسرار، سنعمل معا ونتبادل الأحاديث معا وسنربح الحرب معا لنجعل العالم مشرقا أكثر لأطفالنا»، ومن ثمّ نقول نحن العمال: «نعم، سنعمل بجدّ ليلا نهارا لأننا أحرار».

(يشع من عينيه بريق حاد)

لكنّ ربّ عملك لا يقول مثل هذا القول، بل يقول: «هذا عقدي، هذا متجري، وإن حصل وانضممتم إلى النقابة لتحصلوا على حريتكم فلن تعملوا معي. أنتم خونة».



(تبدو عليه حالة من الانفعال الحاد)
بعد هذه الحرب ستكون هناك حرب أخرى، وستنهار الرأسماليّة كما ستنهار الملوك.
(يمسك عن الكلام هنيهة، جورج صامت أيضا).
والآن سأمضي. قد تموت زوجتي قبل أن أصل إلى ورشة صناعة السفن في نيوكاسل.
(يخرج ببطء من الجهة اليمنى الخلفية. لا يحاول جورج أن يبقيه. يدخل آشر من الجهة اليمنى الأمامية).

آشر : اتصلت لتوي بالوزارة في واشنطن وأخبرتهم بما يدور في بالي، قلت لهم إن يسخّروا العمال للخدمة العامة. تبا لهذه النقابات وما تسببه من مشاكل، خصوصا اليوم وأنت على وشك الرحيل. لم تسنح لي الفرصة للتحدث إليك. أنت تعلم يا بنيّ أنّني فخور بك. خاض جدك الحرب الأهليّة عندما كان بعمرك تقريبا.

جورج : وكان يعرف الغاية التي يقاتل من أجلها.

آشر : ماذا؟

جورج : ظننت أنّني أعرف غايتي هذا الصباح، أمّا الآن فأنا لست متأكدا.

آشر : تقول هذا وألمانيا تنوي اقتحام البلاد والقضاء عليها بعد أن فرغت من الحلفاء.

جورج : ليس الأمر بهذه البساطة يا والدي، فهو أعظم من هذا.



آشر : مع من كنت تتكلم؟ مع جوناثان پندار؟ تمنيت من كل قلبي لو أنّه لم يرجع إلى فوكسن فولز! قد أكون على علم بآرائه مع إرثه. (بتودد) لم أظن أنّك ستكون سريع التأثّر بالانفعال العاطفي يا جورج. كنت آمل أن تتخطى ذلك.

جورج : هل أنت متأكد أنّه انفعال عاطفي يا والدي؟ لم يقل الدكتور جوناثان الشيء الكثير، لكنّني أقرّ أنّه جعلني أفكّر. بدأت ألاحظ بضعة أشياء...

آشر : أيّ أشياء؟

جورج : (ينظر إلى الساعة فوق الرّف الحجريّ للموقد) لم يكن لدي وقت حتى أخبرك، وأخشى أنّني لم أوضّح الأمر. على كل حال، فليست هذه الأشياء بيّنة واضحة في ذهني بعد. لكن تمهل في المضي في قضايا العمال هذه يا والدي ففيها خطر يشبه الديناميت...

آشر : ديناميت؟

جورج : ديناميت بشريّ أعتقد أنه يملؤهم ويملؤنا أيضا. إنهم لا يختلفون كثيرا عنك وعني مع أنّني أقرّ بأنّ الكثير منهم جهلة ومتعصبّون وحاقدون. ولكنّ هذا ليس سببه القلق وعدم الرضا، هذا دخّان يشير إلى نار موجودة هناك أيضا. سمعت هذا الصباح ما يكفي لأقتنع بأنّهم يناضلون من أجل أمر جوهريّ



له صلة بالتقدّم البشري، قضية هذه الحرب. الأمر مبهم الآن في خضم الدخان. فإن كانت هذه هي المسألة لن يمكنك تجاهلها يا والدي، ولن يمكنك قمعها، والشيء الوحيد الذي تستطيع فعله هو أن تجلس معهم وتحاول أن تتفهمهم. إن كانت لديهم قضية، وإن كانت النقابة أتت لتبقى، فأقرّها وتعامل معها.

آشر : أنت .. هل تنصحني أنت ولدي بأن أقرّ بالنقابة؟! وأن أعطي موظفينا حقّ في التدخّل في شؤوننا الخاصة بنا؟

جورج : (بشجاعة) ولكن هل الحرب شأن خاص يا والدي؟ ألم تتغيّر الأمور بعد؟

(يُظهر آشر الألم والإنكار لِمَ قاله ولده. يقترب منه جورج مناشدا).

أنت تعرف يا والدي كم نحن متقاربان، وأكره أن يكون بيننا سوء فهم وخصوصا اليوم. لطالما تقبّلت آراءك. لكنّني تخطيت عتبة الحادية والعشرين، وأنا سوف أخوض هذه الحرب لذا فعليّ أن أقرر وأفهمها بنفسي.

آشر : (يمدّ ذراعيه ويضع يديه على كتفي جورج). إن شيئا ما يزعجك اليوم يا ولدي، فلا تدري ماذا تقول. عندما تصل إلى ساحة المعركة وتترأس الرجال سترى الأشياء في موضعها الصحيح.

جورج : لا يا والدي. لا، لا أستطيع أن أترك الأمر هكذا. لقد سيطرت علي هذه الهواجس وسأظلّ أفكّر فيها طوال الوقت هناك إن لم نتحدث عنها الآن.

آشر : بالله عليك يا جورج! لا تفتح الموضوع ثانية. لا تفكّر فيه! لن أمنع نفسي من أن أضحي من أجلك، لكنّك تجبرني على أن أخالف قناعاتي التي أمضيت حياتي مؤمنا بها. أنا أمنعك لأنّني أبوك من أن تعمل فكرك في مثل هذه الأفكار. (يكفّ عن الكلام وقد غصّ) لا تتحدث عن الأمر، ولا تفكّر فيه!

(يدخل تيموثي فاريل من المدخل من الجهة اليمنى الخلفية، يتبعه بيرت، ثمّ الدكتور جوناثان).

تيموثي : عذرا يا سيدي، لكنّك طلبت مني أن أطلعك على ما أسمعه. سيُعقد اجتماع هذه الليلة، وسَيُضْرِبُون في صباح الاثنين. وأنا متأكد من هذا من الطريقة التي كان يتحدث بها الرجال .. ما لم تجتمع باللجنة عصر هذا اليوم وتتوصل معهم إلى تفاهم.

آشر : فليضربوا! وإن أحرقوا المحلات هذا العصر فلن أمنعهم! (يلوّح لتيموثي مودّعا). ولدي سيغادر إلى فرنسا، وأنا سأغادر إلى نيويورك معه.

تيموثي : (بتعبير مفاجئ من التعاطف) ولدي سيغادر البلاد أيضا يا سيد بندار، وقد يكون ظهر هذا اليوم هو آخر مرة أراه فيها. كلمة منك يا سيدي قبل أن يفوت الأوان.

آشر	:	(ينهره) لا، ليضربوا!
		(يدور ليخفي مشاعره، ثمّ يسرع خارجا من الباب، من جهة اليمين الأمامية. يتقدّم جورج وبيرت ويقفان مع تيموثي بصمت بعد خروج آشر المؤثّر. عندها يرى تيموثي الدكتور جوناثان).
تيموثي	:	هل رأيت ميني يا دكتور؟ لقد ذهبت إلى منزلك.
دكتور جوناثان	:	قابلتها في طريقي الآن، وتركتها مع السيدة پراگ.
جورج	:	زوجة پراگ! هل تقابلها؟
دكتور جوناثان	:	نعم.. حالتها الصحيّة حرجة. تحتاج إلى ممرضة فتطوّعت ميني.
تيموثي	:	ميني ابنتي، أليس كذلك؟ إذن فهي لن ترجع إلى نيوكاسل.
دكتور جوناثان	:	(ينظر إلى جورج) لن ترجع إلى نيوكاسل.
تيموثي	:	هذه هي ميني! (يدور باتجاه جورج) حسنا، وداعا يا سيّد جورج .. بارك الله فيك. (ينظر إلى بيرت) ستكون هناك تقاتل من أجل الحرية. اعتن به يا سيدي إن استطعت، وقدّم له النصح.
جورج	:	(يده على كتف بيرت) يستطيع بيرت أن يعتني بنفسه كما أظنّ. أنا الذي سأحتاج إلى النصح.
		(يصافح تيموثي).

السّتارة.



الفصل الثاني

المشهد : غرفة كبيرة نوعا ما في منزل الدكتور جوناثان في فوكسن فولز، وقد جعلها مختبرا. يسبق هذا المنزل قصر آل پندار زمنا، فهو مبني في أثناء العقد الأول من القرن التاسع عشر، ومع أنّه ليس منزلا كبيرا، فإنّ فيه بعض السحر والتميّز. في الغرفة موقد من صفائح وألواح خشبيّة مُبَرّوزة في منتصف الجدار الأيسر، مطليّ باللّون الأبيض مثل الأبواب. وتوجد في الموقد مدفأة فرانكلين[1] Franklin stove. للنوافذ في الخلف ألواح صغيرة. إطار النافذة المنزلق مرفوع فيمكن رؤية أطراف الخبازى البريّة وكفّ الثعلب[2] في الحديقة، ويرى أيضا شجرة تفاح. تحت النوافذ مائدة طويلة عليها أدوات كيماويّة. يوجد في الزاوية اليمنى الخلفية مغسلة ذات لون أبيض لمّاع. الجدران مطليّة بالكلس، ولا يوجد ما يغطي الأرضية الخشبيّة. يفضي باب في الجهة اليسرى في الخلف إلى مكتب الدكتور جوناثان، وآخر في المنتصف في الجهة اليمنى إلى قاعة صغيرة أماميّة.

---

(١) موقد كموقد النار العادي في البيوت أعلاه وأسفله وجانباه لكل منها قسم يحيط به ويستدير حوله.
(٢) أسماء لنباتات وأزهار.



الزمان	:	صباح أحد أيام شهر يوليو (تموز) من سنة ١٩١٨. (تجلس على المقعد ميني فاريل وهي ترتدي حلّة بيضاء كالتي ترتديها الممرضات وعمّال المختبرات، وتصبّ سائلا في أنبوب اختبار وهي تمسك بأعلاه في اتجاه الضوء. يدخل الدكتور جوناثان من جهة اليمين).
دكتور جوناثان	:	هل أتى أحد يا ميني؟
ميني	:	(تدور وبيدها أنبوب الاختبار) يا له من سؤال تسأله يا دكتور جوناثان! وهل مر يوم من دون أن يضلّ أحدهم طريقه ويدخل إلى هنا حاملا همومه ومشاكله؟! (بغضب) لا يعتقدون أنّ للعالِم عملا حقيقيا. هم لا يفهمون أنّك إن عملت على هذا (تمسك بأنبوب الاختبار) فإنك ستنقذ أرواح الآلاف من الجنود وقليلا من أرواح العامة أيضا كما أظن. لكنّك لا تدعني أخبر أحدا بذلك.
دكتور جوناثان	:	سيكون لدينا متسع من الوقت لنخبرهم بذلك عندما نتمكن من إنجاز ما نعمل عليه.
ميني	:	لكنّنا سوف .. أعني أنّك ستقوم بذلك.
دكتور جوناثان	:	أنت متواضعة جدا يا ميني.
ميني	:	متواضعة! إنّ ما يغضبني هو أنّهم لا يتيحون لك الفرصة لتفعل هذا. إنّ عهد الدكتور سِن Senn قد ولّى، فإن مرضوا يأتون إلى هنا ويتوقعون أن تعالجهم مجانا.



دكتور جوناثان : لكن لا يمكنهم التذمّر إن لم أداويهم.

ميني : والنصف منهم سليم معافى، يتخيّل المرض.

دكتور جوناثان : حسنا، هذا ممتع أيضا، وهو جزء من عمل الطبيب. من الصعب علينا في هذه الأيام أن نقول أين ينتهي الجسد وأين تبدأ الروح.

ميني : يبدو أنّه يليق بك عمل القِسّ أيضا .. عليك أن تتقاضى راتبه.

دكتور جوناثان : عندها يجب أن أقوم بعمله.

ميني : فهمتك. سيكون ما تتقاضاه من المال مقابل أن تعطيهم نفس الصنف من العقار المخّدر. لن تكون حرّا.

دكتور جوناثان : لأجرّب.

ميني : لن تكون عندها عالما. أقول لك إنّني في كل مرّة قابلت فيها القسّ أجهشت في البكاء، فيقول في نفسه: «هربت من يسوع إلى الأشرار، فبأي حق ستكون سعيدة؟» والسيّدة پندار مثل القسّ تماما، فإن حدت عن الصراط المستقيم منعوك من العودة، ويستمرون في إبعادك.

دكتور جوناثان : (الذي شرع يعمل عند المقعد) لطالما شككت بآثامك يا ميني.

ميني : أوه! كنت آثمة مذنبة إذن. حسنا، لن ينسوا هذا أبدا. ولكن لا مانع من أن يكون الآثم عالما. مضى



على قبولك لي سنة تقريبا .. الوقت يمضي بسرعة!
عندما كنت أعمل في محلاّت آل پندار وفي معمل
الأسلاك في نيوكاسل كنت أسبق الفتيات الأخريات
دائما إلى شارع مين Main Street عندما نسمع
صوت الصافرة، ولكنّني الآن عندما يحلّ الليل..
لا أعرف متى أعود إلى هنا، بصدق والله! اسمعني يا
دكتور جوناثان، عرفت شيئا .. أنّ ما يبقي الرجل أو
المرأة في طريق الاستقامة هو المكان الصحيح، فإن
كنت في المكان الخطأ فلن تجديك كل أديان العالم
نفعا. وإن كنت تعمل العمل الذي تحبه فلن تكون في
حاجة إلى الدين. (تكفّ عن الكلام هنيهة) لماذا؟
لأنّ الدين هو موعظة وصلاة وإيمان، أمّا العمل فهو
الفعل والمتعة. ليس هناك من سبب حتى يكون الدين
خاليا من المتعة، أليس كذلك؟

دكتور جوناثان : لا، على الإطلاق.

ميني : والآن، إن وضعنا كلّ في العمل المناسب، فلن يكون هناك مزيد من الحروب كما أظن.

دكتور جوناثان : دائما يتقدمنا عهد السعادة والغبطة، فلن ندركه أبدا.

ميني : حسنا، أنا لا أريد أن أدركه، فلن يكون لدينا حينها ما نفعله. إنّها الساعة الحادية عشرة تقريبا، هل تصدق؟ كنت أتوقع أن يدخل السيد پندار إلى هنا



ومعه الجريدة، لكنّني نسيت أنّه في واشنطن.

دكتور جوناثان : المفترض أن يعود هذا الصباح.

ميني : ما يثير حفيظتي هي الطريقة التي يتسكّع بها هنا مثله مثل البقية. ومع ذلك سمعته يناديك بالاشتراكيّ وأقسَم أنّه لا يرى جدوى من الاشتراكيين.

دكتور جوناثان : لعلّه يحاول أن يكتشف ما هو الاشتراكيّ، والظاهر أنّه لا أحد يعرف.

ميني : هو لا يعرف على كل حال. ولولاكَ لأغُلقت محلاته في الشتاء الماضي.

دكتور جوناثان : على كل حال يبدو أنّهم سيغلقونها هذه الأيام.

ميني : (ترفع إليه نظرها باهتمام) حقا؟! حسنا، هو لن يقّر بالنقابة.. هو لا يعرف في أي قرن يعيش. لكنّه بشر، والبشر كلّهم سواء، وهو يعامل من يحب بطيبة قلب، مثلما يعامل والدي، وهو يحب جورج بكل تأكيد. إنه يحمل كلّ رسائل جورج ويقرأها للناس. (صمت) إنه لا يعرف أين هو جورج، أليس كذلك يا دكتور جوناثان؟

دكتور جوناثان : في مكان ما في فرنسا.

ميني : نحن نعرف مكانه لأنّه مع رجال المارينز، في ذلك المكان الذي يصدّون فيه هجوم الألمان عندما أرادوا غزو باريس.



دكتور جوناثان : تشاتو تييري[1] Chateau-Thierry.

ميني : كما تريد. لكنّني أريد أن أقول يا دكتور إنّني أرى الأشياء في حال سيئة. ما أخشاه ألاّ يكون عندنا العدد الكافي من الرجال هناك قبل أن تنتهي الحرب.

(صمت قصير)

لم أخبرك أنّ جورج كتب لي رسالتين، أليس كذلك؟

دكتور جوناثان : متأكد أنّك لم تفعلي.

ميني : لم أخبر أحدا قط. سيشتاط والداه غضبا إن عرفا هذا. أنا لم أردّ على هذه الرسائل، واكتفيت بإرسال بطاقتين بريديّتين .. لم أكتب عليها شيئا إلاّ العنوان.. مجرّد صور.

دكتور جوناثان : صور؟

ميني : إحداهما لكنيسة آل پندار والأخرى لمحلاّت آل پندار. أعتقد أنّه سيعرف أنّهما مني. وكما ترى فأنا دائما أربط محلاّت وكنيسة آل پندار بعضهما مع بعض.. كنت أحبّ جورج حبّا جما، لذا هربت بعيدا.

دكتور جوناثان : فهمت.

ميني : أوه، لم أخبره بذلك قط. لا أعرف لماذا أخبرتك.. كان لا بدّ أن أخبر أحدا.. وأنت لن تشي بي.

دكتور جوناثان : يمكنك أن تثقي بي.

(١) منطقة في فرنسا.



ميني	:	هو لا يهتم بي البتة، ولكن لا يسعك إلاّ أن تحب جورج. إنّه رجل محبّ للخير، فما كان للعمال أن يضربوا لو كان هو صاحب محلاّت پندار.
		(قرع على الباب الأيمن)
		ترى من الذي يقاطعنا!
		(تذهب إلى الباب وتفتحه بعنف)
		(يُسمع صوت رجل) صباح الخير يا آنسة فاريل، هل الطبيب في الداخل؟
ميني	:	يومه هذا يوم حافل.
دكتور جوناثان	:	(يذهب ناحية الباب) أوه! هذا أنت يا هيلمان.. تفضّل.
ميني	:	أظنّ أنني سأذهب إلى البريد.
		(تخرج ميني وتعلو وجهها علامات الرضا حالما يدخل هيلمان يتبعه رينش وفيرسن. هؤلاء الثلاثة هم لجنة الإضراب. هيلمان رجل قصير ذو شعر أحمر وشارب غليظ منتصب أحمر أيضا، يمشي بهدوء على مشطي قدميه وهو ينصب قامته. رينش رجل طويل نحيف له شارب أسود قليل الكثافة مثل شارب الفقمة، ذو صوت جهوريّ وسلوك جازم. أما فيرسن فهو رجل سويديّ أشقر (يضع الدكتور جوناثان غرضا أو غرضين في مكانهما الصحيح فوق الطاولة. يتصرف بعفوية لكنّ بمودة على

الرغم من جو الترقب المتوتر المسيطر على اللجنة) (يمشي الرجال وقبعاتهم في أيديهم باتجاه الطاولة ويتفحصون أنابيب الاختبار والأجهزة).

رينش : (بخنّة نيوإنكليزيّة) دائما تشغل نفسك بشيء ما عندما لا تكون مشغولا بالناس أيها الطبيب. لا بدّ أنّه من الممتع أن تتسلى بهذه الكيماويّات.

دكتور جوناثان : تبقيني بعيدا عن الازعاجات.

هيلمان : أظنّ أنّه لا وقت لديك للإزعاجات.

فيرسن: نحن لا نريد أن نزعجك.

دكتور جوناثان : لا إزعاج على الإطلاق يا فيرسن.. اجلس. (يجرّ بعض الكراسي ويجلسون عليها) كيف حال طفلتك؟

فيرسن : أوه! هي بخير الآن، نفذّنا ما نصحتنا به وأبقيناها في عربة الأطفال خارجا.

(يعبس فيرسن ومباشرة يصبح جادا من جديد. فترة قصيرة من الصمت).

هيلمان : (يتنحنح) الحقيقة يا دكتور أنّ الرجال أضربوا واتفقوا البارحة على أن يخرجوا مضربين ظهيرة هذا اليوم.

فيرسن : وفكّرنا أن نخبرك بهذا الآن، فقد كنت صديقا وفيا لنا ولعائلاتنا.

دكتور جوناثان : ولكن أليس هذا مفاجئا، والسيّد پندار في واشنطن؟



رينش : لم نستطع الانتظار أكثر من ذلك .. كان يتجنبنا منذ أكثر من سنة، وعندما يعود من واشنطن فلن يكون هناك ما نفعله، فإمّا أن يقرّ بالنقابة وإما يخسر عقده.

دكتور جوناثان : قد يفضّل أن يخسر العقد.

رينش : حسنا فليخسر العقد ثمّ ليذهب إلى الجحيم.

هيلمان : حسبك يا سام! هذه ليست طريقة نتحدث بها إلى الدكتور!

رينش : لا أقصد أن أقلل من احترامي له، فهو لم يخرج واعظا كما فعل البعض، إلاّ أنّ الأفعال أبلغ من الأقوال. أليس هذا هو السبب في أنّنا هنا؟ أليس لأنّه يتعاطف معنا ويرى أنّنا نستحق بعضا من هذه الحرية التي تشيع حولنا؟ نريد منك المساعدة أيها الطبيب.

دكتور جوناثان : أرى أنّكم تأخرتم قليلا يا رينش.

هيلمان : ربما لو أنّك قلت كلمة واحدة لما صوّتوا للإضراب.

فيرسن : ولكنّك لم تقل شيئا أيها الطبيب.

دكتور جوناثان : إن رضيتم بالأطباء في اتحادكم العماليّ، فقد يتكلمون.

هيلمان : هذا إن كان كل الأطباء مثلك.

دكتور جوناثان : امنحهم فرصة يا هيلمان.

هيلمان : لا داعي لأن نشرح لك لماذا نريد النقابة .. إنها الطريقة الوحيدة التي تمكننا من أن يكون لنا رأي



في ظروف عملنا ومعيشتنا في هذه الأيام التي ولى فيها زمن الصفقات الفرديّة. أنت تفهمنا. رفع لنا السيّد پندار أجورنا عندما هددناه الخريف الماضي بالإضراب، ولكنّه كان يخطط لخفضها ثانية عندما يعود الجنود إلى الوطن.

فيرسن : (يومئ) هذا صحيح!

هيلمان : المسألة أيها الطبيب هي كالآتي .. لاحظنا أنّ السيد پندار يأتي إلى هنا ليراك يوميًا مثل بقية سكان فوكسن فولز، وفكّرنا في أنّك الوحيد القادر على أن تجعله يدرك حقيقة الأمر.

دكتور جوناثان : ستكون المحلات معطلة إذن.

رينش : لن نتبادل الورديات حتى يقرّ بالنقابة.

هيلمان : نحن لا نريد أن نفعل شيئا يعيق الحرب، ولكن يجب أن نحصل على حقوقنا.

دكتور جوناثان : هل يمكنكم أن تحصلوا على حقوقكم الآن من دون أن تعيقوا الحرب؟

رنش : (بعدوانيّة) فهمت ما ترمي إليه أيها الطبيب .. تريد أن تقول إنّنا حققنا كمية الإنتاج المطلوبة على هذه الآلات، فإن قلّلنا ساعات العمل الآن فسينتصر علينا الألمان. ولكن قل لي أين سيكون العمال إن ربحت أمريكا الحرب وأصبح الجونكر Junkers يلفظ

حرف[1] J في القمة؟ كما يتغنون.

دكتور جوناثان : (يبتسم) عندما يشتعل بناء من خشب متعفن جافٍ يا رينش، فهل يمكنك أن تحدّ من احتراقه؟

رينش : (بعد وقفة) ربما لا، فهمت ما تعني، ولكن...

دكتور جوناثان : لا يمكن لأمة أو لأيّ حفنة من الرجال في أيّ أمة أن تطفئ هذه النار، أو أن تتنبأ بالعالم الذي سيخرج من هذه الحرب. لعلّهم يظنّون أنّهم يستطيعون، ولكنهم لا يستطيعون.

هيلمان : حقا!

دكتور جوناثان : سنهزم الألمان، لأنّ هذا طبع الأمة.. طبع الزمن.. طبعكم. أنت لا تريد أن يربح الألمان الحرب يا رينش؟

رينش : لا، لا أظن ذلك.

دكتور جوناثان : وإن لم تعملوا هنا فسوف تذهبون للعمل في مكان آخر.

رينش : إلى حيث يقرّون بالنقابة.

دكتور جوناثان : جُنِّد في الخدمة العسكرية عدد لا بأس به من أصدقائكم، أليس كذلك؟ (يومئ رينش بالإيجاب) وما الذي تتوقعونه أنّهم يقاتلون من أجله؟

رينش : للغاية نفسها، صفقة عادلة.

---

(١) Junkers أعضاء الطبقة الأرستقراطيّة الإقطاعيّة البروسيّة، ويلفظ الحرف الأول من هذه الكلمة أساسا كما نلفظ حرف (U) إلاّ أن رينش هنا تعمّد لفظ حرف J كما هو فيبدل بذلك المعنى كليّا ليصبح قريبا من: رذالة، نِتاج من دُونّ، شيء تافه.



دكتور جوناثان : ومن أجل ماذا تظنون أنّ جورج پندار يقاتل؟

رينش : ليس لدي شيء ضده.

دكتور جوناثان : إن أغلقتم محلات آل پندار، ألا يعني هذا أن يخسر عدد من أصدقائكم قوت يومه؟ يقاتل هؤلاء الرجال من أجل غاية لا يفهمونها حتى الآن، لكنّهم عندما يعودون سيعرفون المزيد عنها، فلِمَ لا ننتظر حتى يعود جورج پندار؟

رينش : لعلّه لن يعود أبدا.

دكتور جوناثان : امنحه فرصة.

رينش : أنا أحب جورج، فلطالما كان ودودا معنا، وهو كما نسميه هنا في نيو إنكلاند ديموقراطيّ بالفطرة، لكنّ الحقيقة أنّ أرباب العمل كلّهم سواء. ما الذي يجعلك تفكّر في أنّه لن يستوحي أفكاره عن العمل والعمال من والده؟

دكتور جوناثان : لأنّه ينتمي إلى هذا الجيل الذي يخوض هذه الحرب.

هيلمان : (بمراوغة) لا فائدة أيها الطبيب، ما لم تقنع السيد پندار فسنغلق المحلات.

دكتور جوناثان : أنا لا أستطيع، ولكنّ أمرا آخر يستطيع.

هيلمان : ماذا؟

دكتور جوناثان : الظروف. لا يستطيع أي رجل أن يسبح بعكس التيار طويلا في هذه الأيام يا هيلمان. انتظروا قليلا وسوف ترون.

رنش : (ينهض) صوّتنا على أن نمضي في هذا الإضراب، وسنفعل هذا إن شاء الله.

فيرسن : (ينهض ويصافح الدكتور جوناثان) إنّه طقس جميل أيها الطبيب.

رينش : (ينفجر ضاحكا) هو مثل ذلك الرجل الذي قال «عندما يعلن الكونغرس الحرب فإنّه يوم مناسب للحرب»، ونحن نقول: «إنّه يوم مناسب للإضراب».

هيلمان : (نهض وصافح الطبيب) لكنّك ستتحدث إلى السيد پندار على كل حال؟

دكتور جوناثان : (يبتسم) نعم، سأتحدث إليه.

(يدخل تيموثي فاريل من جهة اليمين وهو يرتدي ثياب العمل).

تيموثي : صباح الخير أيها الطبيب. (يعاين رجال اللجنة) إذا أنتم هنا.. بعد أن صوّتم لتضربوا عن العمل في الوقت الذي بدأنا نشغّل الآلات من أجل الجنود!

رينش : لو كنّا فعلنا الشيء الصحيح لأعلنّا الإضراب منذ سنة مضت.

تيموثي : يا لكم من وطنيين! خصوصا بعد أن أخبركم الطبيب أن أولئك الشباب الذين سافروا سيقتلون هناك لأنّكم تريدون نقاباتكم.

هيلمان : إن أقرّ السيد پندار بالنقابة يا تيموثي سنرجع إلى عملنا غدا.



تيموثي : يقرّ بالنقابة! سيقرّ بالشيطان أولاً! وحتى الدكتور جوناثان لم يستطع أن يقنعه بذلك وبكل ما أوتي من حجّة. هو سيغلق المحلّات، وأنا سأصبح باحثا عن عمل بعد ثلاثين سنة قضيتها هنا.

رينش : وماذا بعد أن يغلق المحلّات؟ هو من سيحمل دماء الجنود وليس نحن. وإن كان هناك القليل من الأجارب[1] في هذا البلد...

هيلمان : حسبك يا سام!

تيموثي : تقول أجرب؟! لو كنت في مكان الحكومة فهل تعرف ماذا كنت سأفعل بأمثالك المضربين في أوقات الحروب؟ لأرسلتكم إلى جبهة القتال كي تقاتلوا الألمان بقبضاتكم. أنا عامل كادح لكنني لا أقف مع الخونة.

رينش : من هو الخائن؟ إنّه أنت من خان رفاقه. لو كانت بطاقة النقابة تجعل من الرجل خائنا، لكان ولدك أول الخائنين منذ اليوم الذي سجّل اسمه فيه.

تيموثي : خائن ويقاتل من أجل وطنه، بينما أنتم تتوارون هنا لتثيروا المتاعب.

(تظهر ميني على عتبة الباب اليمينيّ. يتقدم منها الدكتور جوناثان الذي كان أوّل من أدرك من تعابير وجهها أنّ هناك خطبا ما. بعد دقيقة من الصمت

(١) scab: أجرب (أجارب) ممن أصابه الجرب، وتطلق على سبيل الإهانة على العامل الذي لا يضرب عن العمل مع المضربين.



تقترب من تيموثي وتضع يدها على ذراعه).

تيموثي : (مضطربا) ما الأمر يا ميني؟

ميني : لنعد إلى البيت يا والدي.

تيموثي : ما الأمر؟ لا يتعلق الأمر برسالة وصلتك .. برسالة عن بيرت؟
(تظلّ ميني تحدق إليه).
إنّه من كنت أبحث عنه هذه الأيام! (يمسك بها) ألا تستطيعين الكلام يا فتاة؟ .. هل مات الشاب؟

ميني : نعم يا والدي.

تيموثي : (يضع يده على جبينه فتسقط قبعته. يلتقطها الدكتور جوناثان) يا ولدي العزيز! قتله هؤلاء الأوغاد!

ميني : هلمّ يا والدي، سنرجع إلى البيت.
تيموثي: تقولين البيت؟ بل سأرجع إلى المحلاّت. (يتوجه بالحديث إلى اللجنة) سحقا لكم! سنعمل في المحلات على الرغم منكم. أين هي قبعتي؟
(يسلّمها له الدكتور جوناثان بينما يغادر أعضاء اللجنة بصمت).
رافقيني حتى المحلات يا ميني. شكرا لك أيها الطبيب (يقول له عندما يسلّمه القبعة) أنت من أريد أن أرى عندما أتماسك ثانية.
(يرافق الدكتور جوناثان تيموثي وميني إلى الباب اليميني، ثمّ يرجع إلى المقعد. يمسك أنبوب اختبار ويرفعه إلى الضوء. يظهر في هذه اللحظة آشر بندار

في الممر من جهة اليمين)

آشر : صباح الخير يا جوناثان.

دكتور جوناثان : صباح الخير يا آشر. لم أعرف أنّك عدت من واشنطن.

آشر : عدت راكبا عربة قطار البريد.

دكتور جوناثان : هل ذهبت إلى المكتب؟

آشر : لا. ذهبت إلى المنزل لأتحدث مع أوكستا، ومن ثمّ... (يتحدث بلهجة اعتذاريّة) .. حسنا، ثمّ ذهبت لأتمشى.

دكتور جوناثان : لتتمشى.

آشر : كنت أقلّب بعض الأمور في ذهني. الريف يبدو رائعا ومنعشا. عبرت الجسر المسقوف إلى الطرف الآخر من النهر. اعتدت أن أذهب مع جورج عندما كان صغيرا إلى هناك في أعصر الصيف. كان يافعا طيب الرفقة. كان يترك ألعابه من يده عندما كان يراني عائدا إلى البيت من المكتب. أستطيع أن أراه الآن يركض على طول الطريق هناك ويتوقف ليلتقط طاقات مضحكة صغيرة من الأزهار كالتي يشكلّها الأطفال مثل الأقحوان والبرسيم الأحمر وأزهار رجل الغراب، وكلّها مختلطة بعضها مع بعض، ثمّ يحملها إلى البيت ويضعها في كأس على مكتبي في مكتبتي.

(صمت)



يبدو هذا كالأمس! من الصعب أن أدرك أنّه كبر وأصبح رجلا ويقاتل هناك في الخنادق، وأنني في أي لحظة قد أتلقى برقية أو أُطلَب على الهاتف. هل قرأت صحيفة اليوم؟

دكتور جوناثان : لا

آشر : يبدو أنّ الأخبار السيئة كثيرة فيها، فقد بدأ الألمان جبهة قتال أخرى.

كنت أخشى أنّهم كانوا يستعدون لها. يقصدون هذه المرّة غرب فيردن Verdun وقد يكون جورج في ذلك القطاع على حدّ علمي. كيف ستنتهي هذه المحنة يا جوناثان؟

هذه الآلات الحربيّة اللعينة تبدو لا تقهر، فما تنفكّ تهدر. هل سنستطيع أن نتصدى لهذا المدّ أو أن نساعد في التصدي له بالكثير من الشبّاب الأغرار؟ ليس لديهم سوى سنة واحدة من التدريب.

دكتور جوناثان : لا يمكن أن ينتصر الألمان يا آشر.

آشر : ما الذي يجعلك تقول ذلك؟ بدأنا متأخرين عدة سنوات.

دكتور جوناثان : وبدأت ألمانيا متأخرة عدة قرون.

آشر : يا إلهي، آمل أن تكون على حق. لا أدري. (يذرع الغرفة مرّة أو مرّتين جيئة وذهابا) وصلتني رسالة أخرى.



دكتور جوناثان	:	هذا الصباح؟
آشر	:	لا، بل قبل أن أرحل إلى واشنطن. لكنّني لم أجلبها لك لأنّني أردت أن أتفكّر بها.

(يُخرج من جيبه الرسالة مع ورقة مطوية، ويضع الورقة على الطاولة. يعدّل من وضع نظارته ويشرع في القراءة).

«والدي العزيز. إنّ لون السماء بلون قطع الفحم الحجريّ المتناثرة. لم نمكث في الخنادق ما يكفي من الوقت حتى تتحول أقدامنا إلى أقدام مكففة[1]. لذا فأنا أريح قدميّ على ألواح العبور المنتشرة على السبخة التي يغشاها ضباب كثيف. أمّا الألمان فيكمنون هنا في خندق آخر خلف سور من الأسلاك المعدنيّة الشائكة، على مسافة تقارب المسافة بين القاعدة الثانية والمقرّ الرئيسي. يا لها من حرب عصريّة! لكنّ هذا ليس ما يزعجني. الليلة الماضية عندما كنت مبللا تماما وأستمع إلى القذائف كل منها تغني أغنيتها الخاصة في الظلمة كنت قادرا على التفكير بوضوح عجيب وبطريقة أفضل مما لو كنت جالسا إلى مكتب من خشب الماهوكني في غرفة معزولة عن الأصوات.

(١) القدم المكففة: قدم ذات أصابع متصلة بوترات أو جلديات.



كنت أفكر في الحديث الذي دار بيننا في ذلك اليوم الذي غادرت فيه، هل تذكره؟ بخصوص الهدف الحقيقي وراء هذه الحرب. فكّرت فيه مرارا وتكرارا، لكنّني لم أكتب لك عنه البتة. منذ أن قدمت إلى فرنسا اكتسبت ثقافة تحرريّة جمعتها من مختلف أصناف الرجال. في هذا الخندق بالقرب مني قاطع تذاكر، بائع خردوات، عامل مزرعة سويديّ، محاسب في بقالية، أستاذ جامعيّ، بولندي من البورصة في شيكاغو، بوّاب أمريكيّ أيرلندي من نيويورك وكريرسون من كليڤلاند الذي دخل والده سنويًا نحو مليون دولار. قرّرنا كلنا أنّ هذه الحرب حرب المستضعفين، إن كانوا من بلجيكا، أو أرمينيا، أو ما يسمى أرض الديموقراطيّة: الولايات المتحدة الأمريكيّة. إنّ الأمل الذي يشحذ همتنا ويجعلنا نرغب في تحمّل هذه الظروف الثقيلة وفي أن نموت هنا في الوحل إن تطلّب الأمر منّا ذلك هو أن يرى الناس العالم الذيّ حولهم على أسس أفضل، حتى إذا رجعنا أنا وكريرسون إلى الوطن لم نفن على أفكار مهترئة ومورد كبير، بل على عمل ممتع وإبداعيّ. يجب أن نقلل من عدم المساواة الاقتصاديّة، ويجب أن نمنح هؤلاء الكادحين فرصة ليكونوا أحياءً يحيون لا أن يعيشوا فقط. يجب أن يخالط حياتهم شيء من



المتعة، وراحة في البيت، وفن وجمال، وفوق هذا كلّه ثقافة لم يحصل عليها أحد منّا ممّن دخل الجامعة، والتي يجب أن يحصل عليها الجميع الآن.

إنّ قضية هذه الحرب هي الديموقراطيّة الصناعيّة والتي من دونها تصبح الديموقراطيّة السياسيّة مجرّد مهزلة. هذه الجملة اقتباس من جمل الدكتور جوناثان، وعندما كان رقيب بريطانيّ من بيكاردي يعلّمني كيف أستخدم حرية البندقية قابلت مصنّعا إنكليزيّا من نورثمبيرلاند Northumberland. كان ضابطا مؤقتا هنا. أنا أعرف رأيك في المنظّرين، لكنّ هذا الرجل يقوم بتجربة على الكيماويات البشريّة. دستور الولايات المتحدة الذي أصبح الآن عريقا ومعظّما كان موجودا ذات مرّة في أدمغة المنظّرين الفرنسيّين! فالأقوال أولا، ومن ثمّ الأفعال. هذا الإنكليزي الذي يُدعى راي Wray أعطاني الكتيب الصغير الذي كتبه وحيا من خبرته وتجاربه، وسأرسله لك.

على الرغم من أني أكتب إليك هذه الرسالة في ساعة خطيرة وعظيمة من دون شك، بيد أنّني واثق من أن عقلي لم يكن يوما أكثر صفاءً أو رجاحةً. عزمت أمري يا والدي أن أخوض غمار تجربة في الديموقراطيّة الصناعيّة في فوكسن فولز. وإذا حدث

شيء لي فأنا أودّ من كل قلبي أنّ تكون محلات آل پندار من أوائل المحلات في أمريكا تقرّ بأنّنا نعيش في مرحلة جديدة وعالم جديد. (يمشي آشر باتجاه الطاولة ويضع الرسالة المفتوحة عليها).

إن حدث مكروه لهذا الشاب يا جوناثان فلن يبقى لي في العالم شيء. ديموقراطيّة صناعيّة! إذن فأنت من وضع هذه الأفكار في رأسه! هذه هي الاشتراكيّة كما أفترض.

دكتور جوناثان : لا، بل العلم التجريبيّ.

آشر : سمّها ما تشاء. إنّ ما يفاجئني عندما أنظر إلى الشهور التي مكثت فيها بيننا هو كم كانت علاقتنا جيدة على الرغم من أفكارك.

دكتور جوناثان : لِمَ لا تقول على الرغم من أفكارك أنت يا آشر؟

آشر: (يبتسم رغما عنه) حسنا، إن زيارتي لك والحديث معك دائما تشعرني بارتياح بمعزل عمّا تؤمن به. أنت تملك موهبة التعاطف يا جوناثان، لكنّي لا أوافقك في أن تمضي وقتك في هذا النوع من العمل (يلوح بيده باتجاه الطاولة) الذي لا يؤتي ثمارا، ولا أوافقك أيضا أن تطبب الناس مجّانا وأن تسوّي مشكلاتهم. أجرؤ على القول إنّك تستمتع بهذا، لكنّ ما يثير قلقي هو كيف ستتدبّر أمور معيشتك؟

دكتور جوناثان : بتطبيق فضيلتك المثلى، الاقتصاد في الإنفاق.



آشر : لدي عرض كنت أنوي تقديمه لك. إنه جزء من برنامج عمل كنت أُعمل فكري فيه خلال الأشهر الستة الماضية، وعندما وصلتني رسالة جورج عزمت على إخبارك. ذهبت إلى نيويورك وطلبت من المحامي النقابيّ ستيري Sterry أن يكتبه. سأثبت أنّني لست من ذوي الآراء العتيقة. إن ذلك سيعيد تنظيم محلات آل پندر.

دكتور جوناثان : حسنا، هذه أخبار جيدة.

آشر : أولا وبالإشارة إلى دورك فيه، فأنا سأقوم بتأسيس مشفى مجّانيّ لموظفيّ وأضعك مسؤولا عنها بأجر سنويّ قدره خمسة آلاف. كما أنّك الشخص الوحيد المتبقي من آل پندار باستثناء جورج، وأنا سعيد بأنّك مناسب لهذا العمل كطبيب منذ أن أفرغت عيادة الطبيب سين Senn من المرضى.

دكتور جوناثان : هذا برهان عمليّ يا آشر. لحسن الحظ فإن الدكتور سين رجل مقتدر.

آشر : في عرضي هذا أشترط شرطا واحدا .. (يتنحنح) .. يخصّ ميني فاريل. أنا لا أريد خدش شعور تيموثي، لكنّني لا أريد ميني معك في المشفى يا جوناثان. تستحق على ما فعلته لهذه الفتاة الثناء الكبير، فقد أبقيتها بعيدا عن الضرر، لكننّا إن اعتبرنا ماضيها وحياتها في نيوكاسل .. حسنا، إن سمحت أنا أن



تعمل في المشفى فلن ترضى أوكستا بهذا أبدا. وهي أيضا كانت على علاقة ما بجورج .. وأجرؤ على القول إنّ ما كان ليس إثما...

دكتور جوناثان : الإثم مسألة مبادئ يا آشر. لكلّ منّا ماضٍ، وما يهمنيّ هو مستقبل ميني.

آشر : بالطبع أنت لن ترفض عرضي من أجل ميني.

دكتور جوناثان : بل من أجلي يا آشر. لن نقول المزيد عن ميني.

آشر : أنت ترفض مساعدتي عندما شرعت في عمل تحرريّ ظننت أنّك أول من سيؤيده؟

دكتور جوناثان : أنا لم أرفض مساعدتك .. لكنك لم تخبرني بالعمل المنوط بي؟

آشر : حسنا. (ينقر الورقة التي في يده) خصصت مرّتب تقاعد لموظفيّ الذين خدموني بإخلاص.

دكتور جوناثان : لنقل بكلمات أخرى، لأولئك الذين تركوا أقدارهم بين يديك - وليس بين أيديهم- لتفعل بها ما تشاء.

آشر : بل لأولئك المحبين للعمل الكارهين للمشاكل. وقد قابلت اعتراضهم بأنّ ليس لديهم حصة في المؤسسة بأن سمحت لهم بشروط حددتها أن يسهموا في الشركة.

دكتور جوناثان : فهمت.. ستجعلهم يساهمون بنصف الأسهم حتى يكون لهم صوت يعادل صوتك.

آشر : يعادل؟! إنّها شركتي، أليس كذلك؟



دكتور جوناثان : حاليا.

آشر: أنا صاحب رأس المال، بالإضافة إلى ذلك فقد رتبت نظاما لهيئة عماليّة أقرّ بها وأستشيرها. وأعتقد أنّ في هذا القدر الكافي من الديموقراطيّة، أليس كذلك؟ فإن كان للعمال تظلّمات فسوف تُعرض على الهيئة عرضا منتظما.

دكتور جوناثان : وإن وجدت هذا معقولا سلّمت به.

آشر : بالتأكيد. لكنّ هناك شيئا أعارضه كمسألة مبدأ؛ وهي ألاّ أقرّ بالنقابات.

دكتور جوناثان : ولكن من الذي سيدعم جانب الرجال في هذا العقد؟

آشر : ما الذي تعنيه؟

دكتور جوناثان : ما الذي سيضمن لهم غير هيئة نقابية بأنّك ستلتزم بعهدك؟

آشر : كلمتي.

دكتور جوناثان : أواه!

آشر : أنا مؤتمن على ممتلكاتي ولست مالكا لها. هكذا كنت وهكذا أكون.

دكتور جوناثان : المؤتمن الوحيد.

آشر : المؤتمن هو الله.

دكتور جوناثان : وقد وكلّت الله. حسنا، يبدو لي أنّ هذا التدبير تدبير جميل يا آشر.. ويظهر أن ويليام سيوافق عليه

أيضا.

آشر : ويليام؟ ويليام من؟

دكتور جوناثان : ويليام هو هنزلرن[1].

آشر : تشبّهني بقيصر ألمانيا!

دكتور جوناثان : فقط بما تشتركان فيه؛ وهو نوع من حبّ الخير يا آشر ألا تجعلك خطتّك الصغيرة هذه - إن وافق عليها العمال- مستبدا جوادا؟

آشر : أنا؟ مستبد؟

دكتور جوناثان : أنت تخطط لأن تزيد من مزايا رجالك، وربما تزيد من المال شريطة أن يتنازلوا عن حقوقهم كرجال أحرار. أنت مستعد لأن تقبل بأي شيء إلاّ الدستور، وهكذا هو ويليام.

آشر : هل تقترح جدّيا أن أشارك عمّالي بقرارات أعمالي؟

دكتور جوناثان : ألم يقترح جورج هذا عندما توسّل لديموقراطيّة صناعيّة؟ ويبدو أنّه مستعد لأن يقدمّ روحه فداء ذلك. وقد قدّم بيرت فاريل فعلا روحه فداء ذلك؟

آشر : (بارتياع) ماذا؟ ولد تيموثي، بيرت؟ هل مات؟ لِمَ لم تخبرني؟

دكتور جوناثان : (بتؤدة) لم تسنح لي الفرصة. كان تيموثي وميني هنا

---

(١) أسرة ألمانية حاكمة أخذت اسمها من قلعة قديمة في سوابيا بألمانيا. ومن اشهر الأباطرة من هذه الأسرة التي حكمت ألمانيا هم: ويليام١، وفردرك٣، وويليام٢.



قبل، أن تدخل بلحظات.

آشر : يا إلهي! أنا أشعر بالأسف من أجل تيموثي. لعلّ .. سأذهب وأرى تيموثي. أين هو؟ في بيته؟

دكتور جوناثان : لا، بل في المحلات. يريد أن يتابع في العمل حتى يغلقوا.

آشر : (وقد انتحى ناحية الباب الأيمن)، يدور ويقول ماذا تعني؟

(يُسمع طرق على الباب).

دكتور جوناثان : أعني أنّ اللحظة حلّت يا آشر لتتذكر جورج، وأنّ فرصتك هلّت فاغتنمها.

آشر : لا أستطيع، فأنا لن أتخلى عن مبادئي.

(يتكرر الطرق على الباب. يذهب الدكتور جوناثان إلى الباب ويفتحه. ويدخل كلّ من هيلمان، ورينش، وفيرسن).

هيلمان : أستميحك عذرا يا سيد پندار، كنّا ننتظرك في المكتب، وسمعنا أنّك هنا.

آشر : (يواجههم بتحدٍ كبير) حسنا، ما الأمر؟

هيلمان : (يحدق بالدكتور جوناثان) نريد أن نتحدث معك في مسألة يا سيد پندار حينما يناسبك.

آشر : الآن مناسب مثل أي وقت آخر.

هيلمان : صوّت العمّال على الإضراب ليلة أمس. لعلّ الدكتور جوناثان أخبرك!

آشر : تصوّتون على الإضـراب مـن وراء ظهري وأنـا في واشنطن أولي أعمال الأمة اهتمامي!

رينش : هذا ليس بالأمر الجديد يا سيدي، وكأننّا لم نناقش هذا هنا منذ سنة تقريبا.

آشر : ألـم أرفـع لكم أجـوركم فـي يناير (كانـون الثاني) الماضـي؟

هيلمان : انتظر لحظة يا سيد پنـدار. (ينظر إلـى الدكتور جوناثان) ليست المسـألة مسـألة ما تقوله، أو ما يقوله المال. إنّ الصفقات الجماعية محقة وعادلة وقد ولى الآن زمن الصفقات الفرديّة. نريد أن نكون قادرين على أن نتكلم معك رجلا لرجل، لنحسّ باحترامنا لذاتنا. كلّ ما عليك فعله هو أن تقول كلمة واحدة، أن تقرّ بالنقابة، وأنا أضمن لك الاّ تحدث أيّ مشاكل.

رينش : فإن لم تفعل سنخرج مضربين ظهرا.

هيلمان : (يحاول المصالحة) أعرف أنّنا إن جلسنا معا وناقشنا هذه المسألة فإنّك ستجدها معقولة يا سيد پندار.

آشر : معقولة؟ بل تقصد خيانيّة، وذلك عندما تُضْرِبون وأرواح مئات الآلاف من أصحابكم ورفاقكم متعلّقة بعملكم.

رينش : نحن لا نُضرب .. بل أنت من يُضرب!

فيرسن : (يومئ موافقا) هذا صحيح!



رينش : نحن على استعداد أن نعود إلى عملنا عصر هذا اليوم إن عاملتنا كأمريكيّين (يومئ فيرسن موافقا). تقول إنّنا نعوق الحرب بعصياننا .. ما خطبك وأنت تعصي؟ أليس أرباب العمل خونة مثلنا؟

هيلمان : حسبك يا سام، فلن نحصّل شيئا إن تنابزنا بالألقاب .. فلنناقش المسألة بهدوء وروية.

آشر : أرفض المناقشة.

(يخرج الورقة من جيبه ويمسك بها عاليا).

هل ترون هذه الورقة؟ إنّها خطة وضعتها بملء إرادتي لمصالح الطبقة العاملة. أوحى بها اقتراح من ولدي الذي يقاتل الآن في فرنسا. عدت هذا اليوم إلى فوكسن فولز سعيدا آملا أن أقوم بشيء يفيد عمالي .. وكيف استقبلتموني؟ بأمر، وبتهديد. كنت أحمق عندما فكّرت أنكم تستحقون معاملة محترمة!

(يمسك بالورقة ويمزقها إلى نصفين).

هيلمان : انتظر لحظة يا سيّد پندار، إن لم تستمع إلينا فلعلّ الدكتور جوناثان يقول كلمة في حقنا، فهو يفهم ويدرك ما نشعر به.

آشر : (يمزّق الورقة بعنف إلى نصفين، ومن ثمّ إلى أربعة) هذا هو جوابي! لن أسمح لأي أحد ولا حتى للدكتور جوناثان أن يتدخّل في شؤوني الشخصيّة.

رينش : حسنا.. أظن أنّنا نضيّع وقتنا هنا يا شباب.. سنخرج ونبقى خارجا. بلهجة تهديديّة لن يتم تبديل أيّ وردية



في هذه المحلاّت ما لم تقرّ بالنقابة. وإن كانت هذه خيانة، فارجع إلى واشنطن وأخبرهم بهذا .. هلمّوا يا شباب!

(يخرج ويتبعه فيرسن وهو يومئ موافقا، ثمّ هيلمان الذي يحدّق في الدكتور جوناثان. يصوّب آشر إليهم نظرة قاسية عندما يغادرون. ثمّ تعلو وجهه علامة كرب وألم).

آشر	:	حانت اللحظة يا إلهي! ستغلق محلاّتي للمرة الأولى في حياتي، وفي الساعة التي تعتمد الحكومة عليّ. (ينحني الدكتور جوناثان ويلتقط قصاصات الوثيقة من على الأرض). ماذا تفعل؟
دكتور جوناثان	:	أحاول أن أنقذ هذه القصاصات يا آشر.
آشر	:	لا فائدة منها الآن.
دكتور جوناثان	:	لكنّ التاريخ قد يستفيد منها.
آشر	:	التاريخ. سَيَصِمُ التاريخ هؤلاء الرجال بالعار مدى الحياة. سأجد حلا لهم، سأرجع إلى واشنطن، وإن كانت الحكومة ماتزال على عزمها، وإن كان هذا البلد مايزال أمريكا، فستذهب هذه الحفنة من الرجال إلى العمل أو إلى القتال. (بتقصّد جليّ) هذا ما آلت إليه أحلامك المثالية واشتراكيتك. (يُرى على يمين المدخل امرأة بولونية تقف).



المرأة	:	أيها الطبيب!
دكتور جوناثان	:	نعم
المرأة	:	ولدي مريض.. وأتمنى أن تأتي وتعاينه. أخبرتني السيدة لاديزلو أنّك عالجت ولدها، فأرجو منك أن تأتي وتعاينه.
دكتور جوناثان	:	نعم، سآتي، ما اسمك؟
المرأة	:	ساسينوشكي.
دكتور جوناثان	:	زوجك يعمل في المحلّات؟
المرأة	:	كان يعمل أيها الطبيب، وهو الآن مجنّد في الجيش الأمريكيّ.
دكتور جوناثان	:	ساسينوشكي .. في الجيش الأمريكيّ.
المرأة	:	(بفخر) نعم، إنّه أمريكي طيب الآن . هو يقاتل من أجل تحرير وطنه القديم أيضا .
دكتور جوناثان	:	حسنا، سألقي نظرة على الطفل. علّه يصبح في البيت الأبيض يوما ما .. الرئيس ساسينوشكي! سأعود يا آشر. (تصفر الصافرة معلنة فترة الظهيرة).
آشر	:	هذه هي الإشارة! يجب أن أذهب أيضا .
دكتور جوناثان	:	إلى أين أنت ذاهب.
آشر	:	أعتقد أنّه لا فرق كبير إلى أين أذهب.

(يخرج ويتبعه الدكتور جوناثان والمرأة. تخلو الغرفة لهنيهة، ومن ثمّ تدخل ميني فاريل من الباب في



جهة اليسار من مكتب الدكتور جوناثان. تنظر في أنحاء الغرفة، ثم تذهب باتجاه المقعد وتأخذ بضع أنابيب اختبار الواحد تلو الآخر وتجعلهم في الضوء. تقع عيناها فجأة على رسالة جورج التي تركها آشر مفتوحة على المقعد وبجانبها الظرف البريديّ. تقترب ميني منها ببطء وتلتقطها ثمّ تضعها على شفتيها. تبقى ممسكة بالرسالة وهي تحدّق بها عندما تدخل أوكستا پندار من جهة اليمين).

أوكستا : أوه! ظننت أنّ السيد پندار هنا.

ميني : لعله كان هنا. لا أعرف، فقد أتيت منذ لحظات. (تتردد لحظة ثمّ تذهب إلى الطاولة وتضع الرسالة).

أوكستا : لا بدّ أنّه كان هنا .. أخبرني أنّه سيأتي ويتحدث مع الطبيب.

(تقترب من الطاولة وتنظر إلى الرسالة).

أليست هذه رسالة من ولدي؟

ميني : (تحاول التماسك قليلا، لكنّها تكاد تذرف الدموع) أظن ذلك.

أوكستا : هل كتبها إليك؟

ميني : لا

أوكستا : إذا ماذا كنت تفعلين بها؟

ميني : أمسكت بها فقط. تعتقدين أنّني كنت أقرؤها؟ حسنا، أنا لا أفعلها.



أوكستا : إذن كيف تعرفين أن ولدي من كتبها؟

(ميني صامتة)

لا بدّ أنّك تعرفين خط يده. أظنّ أنّه من الأفضل أن آخذها. (تطوي الرسالة وتضعها في المغلف). هل يكتب جورج لك؟

ميني : وصلتني رسائل منه.

أوكستا : منذ أن ذهب إلى فرنسا؟

ميني : نعم.

أوكستا : (بعد وقفة) لم أوافق قط أن يوظّفك الطبيب هنا. حذّرته منك .. قلت له إنّك قد تخونين ثقته كما خنت ثقتي، لكنّه لم يستمع إليّ. أخبرته أنّ فتاة مثلك تآمرت على ولدي عندما كانت عضوا في الكنيسة وفي صفي أنا، فتاة كانت تعمل بمثل العمل الذي كنت تقومين به في نيوكاسل لا يمكن أن تصبح فتاة محترمة وموضع ثقة. إنّ تجرؤك على العودة إلى فوكسن فولز واستغلالك لبساطة الدكتور جوناثان هو إثبات لما أقول.

ميني : أنت تعرفين كل شيء عني يا سيدتي.

أوكستا : أنا لم أولد البارحة.

ميني : أوه! إنّ السيدات المسيحيات من أمثالك قاسيات القلوب. لا يؤمنون بالخير في داخل الناس، بل فقط بالشر. لطالما كنت في مأمن، ولطالما حصلت على ما تريدين ثمّ تحكمين على النساء العاملات.



ستطردينني من السعادة الحقيقيّة الوحيدة التي يمكن أن أحصل عليها؛ أن أكون هنا مع رجل مثل الدكتور جوناثان، أن أقوم بعمل أستمتع به في كل لحظة، عمل قد يفيد آلاف الناس، يفيد الجنود على خط النار، أو قد يفيد جورج! (تنفجر باكية) لا يمكن أن تفهمي ما أقول . كيف يمكن لك أن تفهمي ما أقول؟ وفوق كل هذا أنت أمه، ولا يمكن أن أنسى.

أوكستا : نعم، أنا أمه. وأنت؟ أنت لم تتخل عن فكرة أنّه يمكن أن يتزوج منك ذات يوم، وذلك إن بقيت هنا وادّعيت الصلاح. أنت تكتبين إليه. لعلّ جورج أحمق، ولكن ليس إلى هذه الدرجة.

ميني : هو لا يهتم بي.

أوكستا : أنا مسرورة أنّك لاحظت ذلك، ومع هذا تصرّين على البقاء في فوكسن فولز. أنت تستغلين الدكتور جوناثان الذي يُخدع بسهولة كما كان والده من قبله. لكن إن أخبرتك أنّك تؤذين الدكتور جوناثان ببقائك هنا، وتدخّلك في عمله، فهل ترغبين في الرحيل؟

ميني : أنا؟ أنا أؤذي الدكتور جوناثان؟

أوكستا : نعم. عرفت أنّه في عوز، وأنّه لا يجني أي مال، لأنّه لا يطلب المال من أحد. أنفق ما عنده من مال جاءه – من تلك التي تسمونها الأبحاث – لمصلحة الأعمال الخيريّة. القليل من الأبحاث تنجح، وإن نجحت فلا تدرّ على صاحبها الكثير.



مينى : هو لا يهتم بالمال.

أوكستا : ربما لا. إنّه أحد الأشخاص غير العمليين الذين يحتاجون إلى من يعتني بهم، هذا إن كانوا محظوظين بما يكفي ليكون لديهم أحد ما يعتني بهم. وبما أنّه ابن عم زوجي، فقد اعتبره السيد پندار أحد مسؤولياته الكثيرة. إنّ السيّد پندار دائما يضع في قلبه وبطريقة عملية موضوع راحة عماله، وهو اليوم يعرض أن يبني مشفى مجانيا لهم، وسيضع الدكتور جوناثان مسؤولا عليها. وهذا ما سيمنحه وفرة من المال وموقعا اجتماعيّا يحتاجه أيضا.

مينى : إنّه الرجل الأعظم في فوكسن فولز في هذه الأيام!

أوكستا : هذا ما يراه المرء، وعلى كل حال فإنّه سيحصل على هذه الفرصة، فهل ستقفين عقبة في طريقه؟

مينى : أنا أقف عقبة في طريقه؟

أوكستا : إن قبل الدكتور هذه الوظيفة فلا يمكنك الذهاب معه، وعليك أن تجدي وظيفة أخرى. والسيد پندار حازم في هذا. لكنّني أعتقد أنّ الدكتور قد يفضل الرفض عوضا عن أن يهتم براحة من يرتبط بهم.

مينى : أنت على حق في هذا!

أوكستا : إنّه مفرط في مثاليته.

مينى : إن كان ما تقولينه إطراءً فأنت على حق ثانية.

أوكستا : هذا ليس إطراء تماما.



مينـي : أظـن أنّـك تعنين أنّـه غريب الأطـوار، ولكنّك على خطأ، على خطأ! هو الشخص الوحيد في فوكسن فولز الذي يعرف نمط العالم الذي سنعيش فيه من الآن فصاعدا. ولِمَ ذلك؟ لأنّه عالم، لأنّه درّب نفسه على التفكير القويم، لأنّـه يفهم الناس من أمثالك ومن أمثالي. فهو لا يلومنا على ما نفعله، لأنّه يعرف لِمَ نفعله.

(صمت)

لهذا السبب أنا لا أحاول أن ألومك لقساوة قلبك، فأنت لا تستطيعين فهم فتاة مثلي، ولا تستطيعين فهم جورج.

أوكستا : (وقد شحب وجهها) لو سمحت لندع ولدي خارج الحديث. كنّا نتحدث عن الدكتور پندار. على الأقل يبدو أنّك تهتمين لأمره قليلا.

مينـي : أنا على استعداد للموت من أجله!

أوكستا : أنا لا أطلب منك ذلك.

مينـي : تريدين مني أن أرحل وأجد مكانا آخر. أتذكّر درسا درّستموه لنا في حصص الكتاب المقدّس: «لا تحكم على الناس كي لا يحكم الناس عليك». هذا ما كنتم تتحدثون عنه. ولكنّك تحكمين عليّ استنادا إلى ما تعتقدين أنّـه سجليّ، وستحذّرين الناس من أن يوظفوني لديهم. إن كان الناس جميعا مسيحيين



مثلك في هذه الأيام فسأتضور جوعا أو أتشرد في الشوارع.

أوكستا : كلّ منّا يدفع جزاء ما اقترفت يداه.

ميني : وأنت جعلت من عملك أن تتحققي أننا ندفع الجزاء.

(صمت)

حسنا، سأذهب. لم أكن أعرف أنّ الدكتور جوناثان في عوز إلى هذه الدرجة .. لم يقل شيئا عن ذلك لي. سأذهب.

أوكستا : فيك شيء من الخير.

ميني : لا تبدئي في الحديث عن الخير!

يدخل تيموثي فاريل من جهة اليمين.

تيموثي : صباح الخير يا سيدتي. (ينظر إلى ميني وأوكستا) أتيت لأصطحب ميني لتمضي ساعة معي.

أوكستا : (باضطراب) كنّا.. كنّا نتحادث قليلا. (تذهب إلى تيموثي) أغمّني ما سمعته عن بيرت!

تيموثي : شكرا لكِ لتعاطفك معي يا سيدتي.

(هنيهة صمت. يدخل آشر من جهة اليمين).

آشر : (يتفحص المجموعة) أنت هنا يا أوكستا؟ (يذهب إلى تيموثي ويشدّ على يده) أردت أن أراك يا تيموثي.. أنا أحسّ بشعورك، فكلانا قدّم ولده لهذه الحرب، فخسرت أنت ولدك، وأتوقع أن أخسر ولدي.



أوكستا : آشر!!

تيموثي : لا تقل هذا يا سيدي.

آشر : لِمَ لا؟ بعد ما حصل في محلاتي، ماذا تتوقع مني أن أعتقد .. أنّه سيرجع؟

تيموثي : لا قدر الله أن تفقده أيضا! فلدينا ما يكفينا من المشاكل والأحزان.

آشر : ما يكفينا من الأحزان! لو أنّ الفرد منّا بقي له صديق واحد يا تيموثي، فهذا يعني الكثير.

تيموثي : (وقد دهش) طبعا، وآمل أن أكون صديقا لك يا سيدي .. صديق منذ ثلاثين سنة.

آشر : كلانا من الطراز القديم يا تيموثي، وليس في اليد حيلة.

تيموثي : نعم إنّ ذلك ما دفعني إلى العمل. والآن ماذا أفعل والإضراب قد بدأ؟ حسنا بعد أن قدّم بيرت روحه فداءً لحرية البشر، فإنّ بلدا ذات قلب كبير مثل أمريكا هي الشيء الوحيد الذي نقاتل من أجله.
لنا في ذلك بعض العزاء. أتذكّره طفلا صغيرا يحمل إليّ علبة الغداء إلى هنا، وهو يركض، ويقفز، وينادي باسمي، وهو لم يبلغ هذا الطول بعد.

آشر : كطفل صغير!

تيموثي : نعم يا سيدي، وهو العمر الذي أحب أن أتذكّره فيه. عهد الطفولة مريح جدا، وعندما يكبرون نفقدهم في كل الأحوال. لكنّ أفضل شيء أفعله الآن هو أن

أتذكّره.

آشر : يمكن أن تشكر هـؤلاء الأرذال على مـا سببوه من إضراب واضطراب.

تيموثي : أرذال؟ هذه كلمة قاسية يا سيدي.

آشر : ومـا هـم إذن؟ بل هـم أرذال وخونـة! لا تقل لـي يا تيموثي إنّك انحزت إليهم .. وأنّك خذلتني أيضا! وأنّك تتعاطف مع هؤلاء المشاغبين المحرضين طبقة ضد طبقة!

تيموثي : سمعت البعض منهم يقول يا سيدي إن كسبت النقابة مـا تسعى إليـه فلن يكون هنـاك طبقات إطلاقا. والطبقات هو ما لا يتوقع البعض منّا أن يجده في هذا البلد، بل يجد الحرية.

آشر : الحرية! ما يسعون إليه هو الفوضى. وليس فيهم مثقال ذرّة من الوطنيّة.

تيموثي : لا تقل ذلك يا سيدي. فإنّ ولدي لحق بالموت هناك، والكثير ممّن يعملون لديك مـاتوا أيضا كما ترى بنفسك كل مرة تدخل من باب المكتب وقد تحولت بعض النجوم في علم بلادنا إلى ذهب. ومن استمروا هنا يواصلون عملهم حتى في الليل وطنيون أيضا. قد لا تكون النقابات أفضل مما يجب أن تكون عليه، لكنّ العامل لا يريد أن يملي عليه أحد في قرار انضمامه إليها أو عدمه.



آشر : لم أتوقع منك أن تقول مثل هذا!

تيموثي : ولا أنا يا سيدي، لكنّهم الأبناء يا سيد پندار. الأولاد من يجعلنا نتغير. كنت أفكّر طوال فترة الصباح أنّه عندما غادر بيرت كانت في جيبه بطاقة نقابيّة، فإن مات لهذا الضرب من ضروب الحرية فهذا يكفي والده العجوز حتى يعيش من أجله. تبيّن لي الآن سوء أن تكون من طراز قديم.

آشر : سوء؟

تيموثي : ألسنا نحارب أمّة من طراز قديم لها ملوكها وأباطرتها وجنرالاتها المستعدون لزهق الأرواح وقمع الحريات؟ ولما لا يكون يا سيدي من حق الرجال أن ينظموا الطريقة التي يقولون فيها كلمتهم حول ماذا سيفعلون؟

آشر : أنت .. أنت تطلب مني أن أضحي بمبادئي وأُذعن للرجال الذين يعيقون الحرب عن قصد؟

تيموثي : غالبا ما تكون المبادئ مجرد اعتداد بالنفس فقط يا سيدي. وقد تكون أنت من يعوق الحرب، بينما هم مستعدون ليرجعوا إلى أعمالهم بكلمة واحدة منك فقط.

آشر : (باهتياج شديد) لا أستطيع، لن أقرّ بنقابة العمّال!

تيموثي : صبرا يا سيدي. أعرف أنّ لك قلبا حنونا، ولطالما تصرفت بما يمليه عليك الضوء الذي في داخلك،



مثلي أنا تماما. لكنّ هناك مزيدا من الضوء يا سيدي، ضوء يسطع في الظلام وأكثر سطوعا من وميض الانفجارات هناك. تقوّض العالم من حولي الآن وأنا أبكي كالطفل على فلذة كبدي الذي قضى نحبه. كانت هناك أشياء لم أرها من قبل، وإن كنت رأيتها فقد كانت أكثر غموضا من أن تزعجني (يستدير آشر) بنفس الطريقة التي تزعجك الآن. وكنت أقول لنفسي دائما: سأتحدث إليه، فلن أبقى في جهل، أنا لا أستطيع أن أجد الكلمات المناسبة، لكنّني قد أستطيع أن أقنعه أن هذا العالم ليس هو الذي نعيش فيه.

آشر : كنت مستعدا لأقرّ بذلك، فقبل أن يأتوني هذا الصباح كانت لدي خطة لإعادة تنظيم المحلاّت، لأضمن لهم العديد من الامتيازات.

تيموثي : عذرا يا سيدي، لكنّ هذا ما لا يريدونه، أن يمنحهم أحد الامتيازات، إنهم يريدون أن يكونوا مستقلين مثلك يا سيدي. لم أكن أفهم ذلك فهما صحيحا حتى هذه اللحظة؛ لأنّني كنت أنظر دائما إلى الأعلى بينما كنت أنت تنظر إلى الأسفل فلا ترى منهم إلاّ ظهورهم المحنية. يجب أن ننظر إلى الدواخل يا سيدي، فالله خلقنا جميعا سواسية، أنت وأنا والسيد جورج وولدي بيرت والبولوني وزوجته وأطفاله. إنّه



إضراب في كلّ فرد منّا يا سيدي، وكنّا في معظم الوقت لا نعرف لم نُضرب.

آشر : معك حقّ هنا يا تيموثي.

تيموثي : لكنّ هذا لا يشكّل فرقا يا سيدي، إنه شيء لا يمكن أن نحكّم العقل فيه، فهو طبيعة فينا جميعا .. (يمد ذراعيه بقوة باتجاه النافذة المفتوحة) مثل تلك الأزهار والأشجار التي يجذبها ضوء الشمس في حديقة الطبيب. قد يموت البعض منها لعوز في التربة الصالحة ويُداس العديد منها، لكنّ ما يبقى سيكبر وينمو ولن يعوقه شيء.

آشر : (يمشي إلى نهاية الغرفة ثمّ يدور) لا، لن أستمع لما تقول! أنت، أنت تطلب مني أن أتراجع أمامهم وقد فقدت ولدك بينما هم على استعداد ليضحّوا، ليقتلوا ولدي وهو في ميدان القتال؟

(يتوقف هنيهة عن الكلام وينظر إلى المدخل من جهة اليمين. يقف الدكتور جوناثان هناك وهو يمسك في يده مغلّفا أصفر. يتقدم ناحيته آشر).

برقية؟ لي؟

دكتور جوناثان : نعم يا آشر.

(بعد أن يعطي البرقية له يقف الدكتور جوناثان بجانب ميني التي تقف في آخر الغرفة بالقرب من الطاولة ويضع يده على ذراعها. يمزّق آشر المغلّف ليفتحه ويحدّق في البرقية ويداه ترتعشان).



آشر : (يهتف) جورج!

أوكستا : أوه يا آشر! .. لا .. لا ..!

(تمدّ يدها لتأخذ البرقية، يعطيها لها وتشرع في القراءة).

«النقيب جورج پندار متأثّر بجراح شديدة، وحالته تنذر بالخطر».

تيموثي : اللّهم احفظه واحمه لنا!

(ستارة)



الفصل الثالث

المشهد : (كما في الفصل الأول، مكتبة منزل آشر بندار)

الزمان : (اليوم التالي عصرا. تهبّ عاصفة تحمل رياحا وأمطارا. وميض برق بين الفينة والأخرى وأصوات رعد قوية. يذرع آشر الغرفة جيئة وذهابا، يضمّ يديه وراء ظهره ويفرّق بينهما عندما تدخل أوكستا من جهة اليمين الأمامية وحياكتها في يديها. وميض برق وصوت رعد).

أوكستا : أوه! هل تعرف أنّهم يقطعون شجرة الدردار التي في نهاية الحديقة العامة؟ تلك المَعْلَم الرائع.

آشر : يقطعون كلّ المعالم القديمة، الواحد تلو الآخر.

أوكستا : (تقترب منه وتضع يدها على ذراعه) كنت مضطربة النفس طول اليوم. أرجوك أن تكون حذرا في التعامل مع هؤلاء المضربين الغاضبين المتجهمين في الشارع هذا الصباح ..

آشر : أوه، هم لا يجرؤون على لمسي. لو كانت لدينا شرطة ولاية لانفرط عقد هؤلاء المضربين. لكنّ المجلس التشريعيّ يهتزّ عندما يفتح أحد القادة العماليين فمه.

أوكستا : (تجلس وتأخذ حياكتها) لو استطعت أن أساعدك ولو قليلا! لكنني لا أستطيع.

آشر : كنت زوجة صالحة يا أوكستا.

أوكستا : لا أعلم. أنا حافظت على منزلك، وحرصت على أن تأكل جيدا، لكنّني كنت أفكّر أخيرا في أنّ هذا عمل تافه لامرأة، لإنسان.

آشر : (باندهاش) لِمَ يا أوكستا! لا أتذكّرك إلاّ وأنت منشغلة بشيء. شاركتِ بفعالية في أعمال الكنيسة ورعيت الناس في القرية.

أوكستا : نعم، وما كانت ثمار ذلك؟ جحد الفقراء بما فعلت ولم يقتربوا من الكنيسة، وهم يشترون اليوم البيانو[1]. لن يكون هناك قريبا أي فقير نساعده.

آشر : فعلا! نحن من سنكون الفقراء إن استمر هذا الشيء.

أوكستا : حاولت أن أقوم بدوري كامرأة مسيحيّة، ولكنّ الظاهر أنّه ليس للمسيحييّن دور في هذه الأيام. وأرى نفسي آخر من يعلم ويوثق به عندما تواجهك مشاكل حقيقيّة.

آشر : لا أريد أن أزعجك بشؤون أعمالي.

أوكستا : لأنّك لا تراني ندا لك من الناحية الفكرية.

آشر : للمرأة مجالها، ولطالما ملأت هذا المجال بأحسن ما يكون.

أوكستا : أظنّ أنّ الكلمة المناسبة هي «زيّنت».

---

(١) إشارة لانصراف الناس عن الدين وحبهم للّهو والموسيقى.



آشر : إن من يسمعك تقولين هذا يظنّ أنّك تأثّرت بجوناثان. أنتِ من بين جميع الناس!

أوكستا : يبدو أنّه لا مكان لامرأة مثلي في هذه الأيام. أنا لا أميّز العالم الذي أعيش فيه.

آشر : يبدو أنه لم تغمض لكِ عين الليلة الماضية وأنت تفكّرين في جورج.

أوكستا : أكاد أفقد الأمل بأن أراه حيا ثانية.

(يدخل الدكتور جوناثان، من جهة اليمين الأمامية. هدوءه يناقض هيجان العاصفة، ويناقض أيضا الحالة الذهنيّة لآشر وأوكستا).

ماذا تفعل خارجا يا جوناثان في هذا الجو العاصف؟

الدكتور جوناثان : أتيت لأراك يا أوكستا.

أوكستا : (وهي تحيك تحاول أن تخفي قلقها لظهوره) حقا!؟ كان يمكن أن تنتظر حتى ينتهي الأسوأ. يجب أن تراعي صحتك كما تعرف.

الدكتور جوناثان : (يجلس) هناك أشياء أهمّ من صحتي. أظنّ أنّه لا أخبار جديدة عن جورج.

آشر : بلى، وصلتني برقيّة أخرى صباح هذا اليوم تقول إنّه في طريقه إلى المنزل على واسطة نقل.

الدكتور جوناثان : في طريقه إلى المنزل!



آشر : إن وصل حيا. سأريك البرقيّة. من الظاهر أنّهم لا يستطيعون فعل شيء لحالته. يظنون أنّها صعقة حرب[1]. ثارت ثائرة هذه العاصفة منذ التاسعة صباحا، ومع أن الاتصالات صعبة إلاّ أنّني تمكّنت من الاتصال بنيويورك والتكلّم مع فراي Frye الخبير بأمور صعقة الحرب. وفي حال وصل جورج اليوم فسيقابله.

الدكتور جوناثان : فراي شخص طيب.

آشر : أصابت قذيفة جورج منذ شهر تقريبا وكادت تقتله، ولم أسمع عن ذلك كلمة واحدة حتى وصلتني تلك الرسالة في منزلك البارحة. ثمّ وصلتني هذه البرقية هذا الصباح. ماذا يمكن أن يقال عن حكومة متهاونة بهذا الشكل؟ بالطبع إنّ فرص وصوله سالما اليوم ضئيلة، لكنّني لا أستطيع المغادرة إلى نيويورك حتى المساء؛ لأنّ الحكومة نفسها سترسل مفتشا نقابيّا عماليّا إلى هنا ليفتّش في أموري، ومن ثمّ يعدّ تقريرا أوليّا. سيقرّرون إن كنت سأحتفظ بممتلكاتي أم سأسلمها لهم. ومن أرسلوا؟ لم يرسلوا رجل أعمال خبيرا بالعمل والعمال، بل أستاذا جامعيّا تخرج في جامعة ما .. أرسلوا واضع نظريات!

---

(١) مرض عصبيّ أو نفسيّ يعتري بعض الجنود من تأثير الحرب.



الدكتور جوناثان : هؤلاء الأساتذة الخرقى. لكن ماذا في وسعنا أن نفعل يا آشر؟ نعزل الجامعات؟

آشر : يجب على رجال الأعمال المؤتمنين أن يمنعوا الأساتذة الجامعيين من التدخل في شؤون الحكومة والسياسة. سيكون هذا الرجل من الوقاحة فيخبرني مواجهة أنّ عمالي المأجورين لا يعملون لدي. يُفترض مني أن أقدّم رأس المال فقط. نقول عن ألمانيا إنّها بلد استبداد، وهذا لا شيء مقارنة مع ما وصلت إليه هذه البلاد.

الدكتور جوناثان : (يبتسم) استبداد أستاذ جامعي عوضا عن استبداد رجل أعمال. حسنا، لكل إنسان زمانه[1]. إذن جورج عائد إلى الوطن.

آشر : وماذا سيبقى لنسلّمه إن عاش؟ وما هو مستقبل محلاّت آل پندار التي أنفقت حياتي وأنا أبنيها؟

الدكتور جوناثان : إن عاش جورج كما نأمل فلست في حاجة إلى أن تقلق على مستقبل محلات آل پندار كما أظن.

أوكستا : ليحفظه الله سالما!

آشر : أظن أنّني على وشك أن أصل إلى مرحلة لا أؤمن بها بوجود الله.

(وميض برق ساطع وصوت رعد عالٍ).

(١) يكون فيه محظوظا موفقا.



أوكستا : آشر!

آشر : ليصعقني الله إذن!

(يسرع خارجا من الباب اليساري).

أوكستا : (بعد فترة من الصمت) لم يقل شيئا مثل هذا في حياتنا الزوجيّة التي استمرت لسنوات طويلة. آشر ملحد!

الدكتور جوناثان : هكذا كان النبي أيوب لحين من الزمن[1].

أوكستا : (تتجنب نظرة الدكتور جوناثان وتشرع بالحياكة) هل أردت التكلم معي يا جوناثان؟

(تدخل الخادمة من الباب اليمين الأمامي).

الخادمة : تيموثي فاريل يا سيدتي.

(تخرج الخادمة، ويدخل تيموثي فاريل).

أوكستا : أخشى أنّ السيد بندار لا يستطيع مقابلتك الآن يا تيموثي.

تيموثي : أريد أن أقابلك أنت يا سيدة، إن تحملتني.. اهتممت ذات يوم بشؤون ميني.

أوكستا : صحيح أنّني اهتممت ذات يوم بشؤون ميني لكنّني أخشى أنّ ذلك انتهى الآن. أنا أكره أن أقول ذلك لك وأنت والدها، لكنّ الأمر كما قلت.

تيموثي : لا تكوني قاسية عليها يا سيدة بندار. قد تكون فتاة

---

(١) حاشا لله أن نقول هذا عن اي نبي، فلم يُعرف عن أي نبي أنّه كان ملحدا في فترة من فترات حياته، والله أعلم.



مشاكسة في نيوكاسل، لكنّها منذ أن عادت إلى هنا
لتعمل لحساب الطبيب أصبحت فتاة طيبة وسعيدة
لم أعهدها هكذا من قبل، وأصبحت سندا لي في
شيخوختي وقد مات بيرت وأدمن جيمسي على
المشروب. وها هي الآن تفرّ وتتركني وحيدا بعد أن
أُغلقت المحلاّت ولم يبق لدي عمل أعمله.

أوكستا : (وهي تحيك) هل غادرت فوكسن فولز؟

تيموثي : (متأثرا للحظة) عندما استيقظت هذا الصباح
وجدت رسالة بجانب سريري، تقول فيها إنّه عليّ ألاّ
أقلق بشأنها، وأنّني أعرف كم هي تحبني. لم ترافق
في هذه الفترة أي شاب أعرفه. وفي الوقت الذي لم
تكن تعمل فيه مع الدكتور في هذا الاكتشاف كانت
تقضي الوقت معي في البيت.

أوكستا : آسفة لحالك يا تيموثي! لكنني لا أعرف كيف أستطيع
أن أساعدك.

تيموثي : أتذكّر أنّكما كنتما تتحدثان البارحة في المختبر قبل
أن تصل البرقية التي تخصّ السيد جورج.

أوكستا : وإذن ماذا؟

تيموثي : إنّه مجرّد أمل يا سيدتي.. تعلّقٌ بقشّة.

أوكستا : (تزم شفتيها) أكرّر أسفي لما حصل لك يا تيموثي. أنا
لا أعرف أين ذهبت.



تيموثي : (يشدد النظر إليها. توقف حياكتها للحظة وتنظر إليه بمثل نظرته) حسنا يا سيدتي .. لا داعي لأن أزعجك بعد. ألم تسمعوا أخبارا أخرى عن السيد جورج؟

أوكستا : (بدموع مفاجئة) إنّهم يرسلونه إلى الوطن.

تيموثي : قد تشعرين الآن يا سيدتي وأنت تستعيدين ابنك بقليل من الرحمة تجاهها هي، الشخص الوحيد الباقي لي من هذه الدنيا.

(يخرج تيموثي من الباب الأيمن الأمامي. تفيض عينا أوكستا بالدموع. تترك كبّة الصوف تقع من يدها. يلتقطها الدكتور جوناثان).

أوكستا : أحاول أن أُنصِف في أحكامي وأصدق مع اقتناعاتي، لكنّ ما فعلته ميني لا يمكن التغاضي عنه.

الدكتور جوناثان : (يجلس بجانب أوكستا) وما الذي فعلته ميني يا أوكستا؟

أوكستا : أنت تطرح عليّ هذا السؤال؟ أحاول جهدي أن أقرّ لكَ يا جوناثان بأنّني أجهل سنن الحياة، لكنّ من الصعب أن أصدق أنّ ميني فاريل أصبحت امرأة سيئة.

الدكتور جوناثان : امرأة سيئة. أفهم إذن أنّك لا تؤمنين بعقيدة الدين المسيحيّ في التوبة وصلاح النفوس.

أوكستا : (بتعجرف) الطبع يغلب التطبع ولا يستطيع النمر



تغيير البقع على جلده. وهل أظهرت أي دلالات على توبتها؟ هل جاءت إليّ وطلبت منّي السماح على ما بدر منها من سوء معاملة لي؟ هل دخلت الكنيسة وطلبت المغفرة من الله؟ لكنّني أعرف أنّك لاأدرِيّ[1] يا جوناثان. هذا يحزنني. لم أتوقع منك أن ترى ضرورة ذلك.

الدكتور جوناثان : لولا ميني لما استطعت أن أصل إلى الاكتشاف الذي قد يهمّ جنودنا الجرحى، وعمّالنا المصابين في المصانع. وعلى الرغم من خبر وفاة شقيقها فقد عملت طول فترتي العصر والمساء. وعندما أجرينا الاختبار الناجح كان ذلك في منتصف الليل وبعد ثماني ساعات من التجارب.

أوكستا : آمل أن يكون الاكتشاف قيّما. يبدو لي في هذه الأيام أنّ هناك كثيرا من العلم والقليل من الدين. أنا لم أنكر قط أنّ الفتاة ذكية.

الدكتور جوناثان : ولكنّك تنكرين عليها فرصة أن تحقق شيئا من وراء ذكائها، لأنّها فتاة خالفت - وفقا لرأيك - الوصية السابعة[2]، أليس كذلك؟

أوكستا : لا أستطيع أن أصغي إليك وأنت تتحدث هكذا.

الدكتور جوناثان : ولكنّك تصغين في كل يوم أحد إلى ما يقوله موسى

(١) اللاأدريّة: القول بأنّه لا يمكن معرفة شيء عن الله.

(٢) إحدى الوصايا العشر المذكورة في الإنجيل تعلّم الناس كيف يتصرفون.



وهو يتحدث هكذا؟ هذا إن كان ما قيل هو على لسان موسى، وأنت قررت أنّ ميني خالفت الوصية، أليس هذا صحيحا؟

أوكستا : أنا لست حمقاء يا جوناثان.

الدكتور جوناثان : أنت كما يقولون امرأة صالحة. فهل أثبتِ أنّ ميني هي كما يقولون فتاة سيئة؟

أوكستا : هل أنكَرت هذا مطلقا؟ وأنت سمعتها عندما وقفت هنا في هذه الغرفة وتحدثت عن حياتها في نيوكاسل.

الدكتور جوناثان : ولكن لا قانون يدينها على هذا أبدا.

أوكستا : وكانت على علاقة مع جورج. أوه، لا أستطيع أن أتحدث عن هذا!

الدكتور جوناثان : ما أخشاه أنّ جورج سيودّ التحدث عن هذا عندما يعود.

أوكستا : كانا يتراسلان ويتآمران من وراء ظهري.

الدكتور جوناثان : هل أنت واثقة من هذا؟

أوكستا : اعترفت لي أنّ رسائل وصلتها منه.

الدكتور جوناثان : وهل كتبت له رسائل تردّ فيها على رسائله؟

أوكستا : بأي حقّ تمطرني بأسئلتك يا جوناثان؟

الدكتور جوناثان : إنّه نفس الحقّ الذي استخدمتيه مع ميني يا أوكستا. ولا أتمنى إلاّ أن أعرف الحقيقة، والظاهر أنّك لا تريدين الحقيقة. تركت لي رسالة أيضا تقول

فيها: «لا تحاول البحث عني، فأنا لن أرجع. ما قالته السيدة پندار عني صحيح، وعلى كل حال يجب أن أفرّ ثانية». والآن يا أوكستا أودّ أن أعرف ما الذي حققتيه من هذا؟

أوكستا : الأمر واضح وجليّ، أليس كذلك؟

الدكتور جوناثان : لو كانت الفتاة سيئة كما تقولين، فهل كانت ستقول مثل هذا؟

أوكستا : أخشى أنّه لا سلطة لي على أمثال ميني.

الدكتور جوناثان : حسنا، أنا لي سلطة عليها. إنّ الدافع الوحيد الذي يدفعها إلى مغادرة مخبري، وفوكسن فولز، ووالدها هو ما تسمينه الدافع المسيحيّ.

أوكستا : ماذا تعني؟

الدكتور جوناثان : دافع مؤثر للغير. غادرت لأنّها تعتقد أنّها تساعد شخصا في ذلك.

أوكستا : لِمَ تناقش هذا معي؟

الدكتور جوناثان : لأنّني توصلت إلى نتيجة أنّك تعرفين شيئا عن رحيل ميني يا أوكستا.

أوكستا : (توشك أن تنفجر بالبكاء ثانية) حسنا.. أنا أعرف شيئا، فأنا المسؤولة عن رحيلها. وأنا لست خجلة ممّا فعلت. إنّ بقاءها كان إهانة لكل الطيبين هنا. أنا ناشدتها الرحيل وكانت عندها اللياقة لتجيب مناشدتي لها.

الدكتور جوناثان : لا تنطبق كلمة اللياقة مع ما قدّمته من تضحية.

أوكستا : أفترض أنّك تعني – وبأفكارك الراديكاليّة الغريبة – أنّها يمكن أن تمكث هنا وتتزوج من جورج. لا يمكن التنبؤ بالأذى الذي تستطيع امرأة من هذا النوع أن تسببه.

الدكتور جوناثان : (ينهض) إنّ الأذى الذي يمكن أن تسببه امرأة سيئة يا أوكستا يزداد أحيانا بالأذى الذي يمكنه أن تسببه امرأة صالحة. لسوء الحظ فأنت منغمسة في دين ينقصه الإيمان بالإنسانيّة التي يجب أن تكون أساسا من أساسياته. قدّمت لك الفتاة أكبر برهان على طيبة موروثة، وأنت اخترت أن تنعتيها بالفتاة السيئة. لكن إن لم تؤمني بما قاله موسى وسائر الأنبياء، فكيف يمكن لك أن تؤمني بما قاله المسيح؟

أوكستا : إلى أين تذهب يا جوناثان؟

الدكتور جوناثان : لأبحث عن ميني فاريل وأعود بها إلى فوكسن فولز. (يخرج من الجهة اليمنى الأمامية. تجلس أوكستا ساكنة للحظة، ومن ثمّ تحاول أن تتابع الحياكة. يُرى وجه رجل يضغط على زجاج النافذة المتوسطة. لم تستبينه أوكستا. يختفي، وينفتح الباب الزجاجيّ الأيمن الخلفي، ببطء ويدخل براگ بثياب مبللة، ولحية غير محلوقة، وقد ناله التعب والإعياء فتضعضعت وذبلت عيناه. يترك الباب مفتوحا وراءه.



وحالما يصبح داخل الغرفة يتوقف ويحدّق بأوكستا التي تلمّ حياكتها وتنهض. لا تنقصها الشجاعة).

أوكستا : ماذا تريد؟

براگ : أتيت لأرى السيد پندار.

أوكستا : إنّ المكان الأمثل لترى فيه السيد پندار هو في مكتبه. وكيف لك أن تدخل عنوة هكذا؟

براگ: (يتقدم ناحيتها). لاحق لي هنا. أعرف هذا؟ (يُرى من خلال النافذة شخص امرأة تركض على طول المرج، وتدخل ميني فاريل بعد لحظة من المدخل المفتوح في جهة اليمين الأمامية. تبدو منقطعة الأنفاس ومبللة قليلا).

أوكستا : ميني!

براگ : يدور ويواجه ميني إذن رجعت أنتِ أيضا إلى فوكسن فولز!

ميني : حزرت.

براگ : هل تتبعيني؟

ميني : يا لك من عدّاء سريع! (تمسك به من ذراعه) هلمّ يا براگ، فليس لديك عمل هنا، وأنت تعرف هذا.

براگ : (بعناد) أتيت لأرى السيد پندار. سوف أراه.

أوكستا : إنّه ليس في المنزل.

براگ : إذن سوف أنتظره.

مِيني : (تنظر باتجاه باب المكتبة حيث تتوقع أن يكون آشر)
لا، لن تفعل ذلك أيضا! هيا معي.
(تسحبه وهو يقاوم. يبدآن بالعراك. تصرخ أوكستا وتهرع لتساعد ميني) ابتعدي يا سيدة پندار. إن كان السيد پندار في المنزل فأخبريه ألاّ يأتي إلى هنا؛ فهذا الرجل مجنون.

براگ : (وهو يتصارع مع ميني) مجنون! إنّ ما أريده من السيد پندار ليس من شأنك. هو عدو لك أيضا، عدو لكلّ العمّال.
(تدور أوكستا بعد تردّد وتهرع إلى الباب في جهة اليسار، وهو الباب الذي يؤدي إلى مكتب آشر. تحاول ميني أن تدفع براگ إلى المدخل في جهة اليمين في الخلف، لكنها أضعف من قوة هيجانه العصبي. وحالما تصل أوكستا إلى باب المكتب ينفتح بقوة ويظهر آشر).

آشر : ما الخطب؟
(ثمّ يرى ميني وبراگ يتقاتلان فيتجه ناحيتها. تحاول أوكستا أن تمنعه من الوصول إليهما. يحرر براگ نفسه من يدي ميني ويسحب مسدسا من جيبه. تلقي ميني نفسها بينه وبين آشر الذي يتوقف هنيهة وقد صُعق في مكانه لا يدري ماذا يفعل).

براگ : (يتوجه بالكلام إلى ميني) ابتعدي! قتلَ زوجتي وطردني من بيتي ولنّ يقرّ بالنقابة. سأقتله! ابتعدي!



آشر : تنحّي جانبا يا ميني، سأهتم به.

(تصرخ أوكستا. يتقدم آشر ويمسك ميني من كتفيها ويدفعها جانبا. يسدد إليه براگ المسدس).

براگ : اعترف بالنقابة أو سأقتلك!

آشر : أخفض المسدس! هل تظن أنّك تستطيع أن تهددني؟

براگ : ليعدموني. سأموت من أجل الحرية!

(يكاد براگ يضغط على الزناد لكنّه يمسك عن ذلك. يشيح بعينيه عن آشر وينظر باتجاه المدخل في جهة اليمين الخلفية حيث يُرى الدكتور جوناثان واقفا يرنو إليه. تسقط ذراعه تدريجيّا إلى جانبه. يقترب منه الدكتور جوناثان ويأخذ المسدس من يده. ينهار براگ ويغرق في نشيج حاد). لا فائدة! لا أستطيع ذلك الآن.

دكتور جوناثان : (يده على كتف براگ) تعال معي يا براگ إلى منزلي.

(يأخذ براگ الذي يرتعد من نشيجه إلى خارج المدخل في جهة اليمين في الخلف ويظهران من خلال النافذة يعبران المرج ثم يختفيان).

أوكستا : أوه يا آشر!

(تذهب إليه وتضع يدها على ذراعه، ومن ثمّ تدور باتجاه ميني).

لقد أنقذت حياته.



ميني	:	أنقذه الدكتور جوناثان. هو على استعداد لينقذ الجميع إن سمحوا له بذلك. منذ أن أخذ على عاتقه رعاية زوجة براگ عندما ماتت استحوذ عليه.
آشر	:	كنت شجاعة يا ميني، ولن أنسى ما فعلت.
ميني	:	انس ذلك، فأنا لا أحب أن أرى أحدا يتأذى.
أوكستا	:	لكن، كيف يعقل أنّك هنا في فوكسن فولز؟
ميني	:	أوه، ليس في نيتي العودة، سأغادر ثانية.
أوكستا	:	ليس لي حق أن أطلب منك المغادرة الآن.
آشر	:	ماذا؟ هل طلبت من ميني أن تغادر فوكسن فولز؟
أوكستا	:	أود أن أتكلم مع ميني يا آشر، إن لم يكن لديك مانع.
آشر	:	(يحدّق بالمرأتين). حسنا. لن أنسى ما فعلتيه يا ميني. يخرج من جهة اليمين في الأمام.
ميني	:	(التي تكاد تفقد رباطة جأشها) أنا لم أرجع إلى فوكسن فولز لأتحدث إليك ثانية يا سيدة پندار. عذرا، لكن يجب أن أغادر.
أوكستا	:	إلى أين؟
ميني	:	لم تهتمي البارحة بذلك، فلِمَ تهتمين اليوم؟
أوكستا	:	(بجهد) أودّ أن أقول إنّ الدكتور پندار رفض عرض السيد پندار.
ميني	:	لن يتولّى أمر المستشفى؟



أوكستا : لا.

ميني : لكن في حالة الفقر كيف سيتدبّر قوت يومه؟ لا يستطيع أن يستأجرني لأساعده.

أوكستا : لا أعرف. كان الدكتور پندار على وشك المغادرة للبحث عنك.

ميني : كنت أخشى ذلك في الوقت الذي كان يجب عليه الذهاب إلى نيويورك ليختبر اختراعه في المشافي هناك.

أوكستا : لا بّد أن تقابليه.

ميني : أوه، سأقابله الآن. هذا ما يحزنني أشد الحزن، أن أكذب عليه عن سبب مغادرتي. جعلته يفكّر أنني سئمت العمل معه.

أوكستا : أودّ يا ميني أن أقول إنّني أخطأت في حقك. قد تكونين خرقاء لكنّك لم تقترفي ذنبا. أليس هذا صحيحا؟

ميني : لِمَ تفكّرين هكذا الآن؟ ما الذي تغيّر؟ ألأنّني مددت يد العون ومنعت رجلا مجنونا من أن يطلق النار على السيد بندار؟ ليس هذا ما غيرك، أليس كذلك؟

أوكستا : كنت على خطأ!

ميني : لاأزال الفتاة السيئة كما كنت ترينني البارحة.

أوكستا : لا يمكن لفتاة سيئة أن تفعل ما فعلتيه الآن.

ميني : لا تصدّقي هذا يا سيدتي. أعرف امرأة من نيوكاسل..



لكنّني أعتقد أنّه لا فائدة من المضي في هذا هناك سوء يفوق ما تسمينه سيئا بكثير.

أوكستا : أنا.. أنا لا أستطيع أن أناقش هذا. لكنّني أريد أن أكون منصفة. أنا مقتنعة بأنّني أسأت إليك. وأنا أعتذر لهذا. ألن تصدقيني؟

ميني : لكنّك لن تغفري لي نظرا إلى ما حصل لجورج، وإن لم أفعل ما تفكّرين به.

أوكستا : سأحاول.

ميني : لا، لا تحاولي فالمغفرة لا تأتي هكذا يا سيدة پندار. (بنبرة قوية وصاخبة) أردتني أن أغادر فوكسن فولز من أجل جورج وليس من أجل الدكتور جوناثان.

أوكستا : أكررّ ما أقول، ما كان يجب أن أطلب منك الرحيل. أليس هذا كافيا؟

ميني : أخبرتك ألاّ تقلقي بشأني وبشأن جورج. هربت منه مرّة، وأظن أنّني لن أهرب منه ثانية.

أوكستا : أنتِ.. هربت منه؟

ميني : هربت من الكنيسة أيضا، ومن دروس الإنجيل، ومنك، ومن المحلاّت، لكنّني حرّة الآن، فلن أسبّب أي خطر إن أخطأت. أنا أعرف ما أستطيع أن أفعله. أنا أتقن عملي، الدكتور جوناثان علمني. لا حاجة بك إلى أن تشغلي بالك بي أيضا. سأمرّ لأرى إن كنت أستطيع أن أساعد الدكتور جوناثان بالعناية بذلك المسكين براگ .. كانت الحياة جدّ قاسية عليه.



أوكستا : (تتقدم لتمنعها) انتظري لحظة يا ميني، أخبريني كيف حدث ورجعت، وكنت هنا من حُسن الحظ.

ميني : ليس في هذا حسن حظ. فقد ركبت عربة القطار الذي ينطلق إلى نيوكاسل في السادسة من صباح هذا اليوم. لم يكن في نيتي أن أبقى هناك. هرعت إلى براگ في المحطة واعتنيت بزوجته، وقد شرع يخبرني كيف أنّه أتى إلى فوكسن فولز ليقتل السيد پندار لأنّه فضّل أن تُغلق المحلات على أن يقرّ بالنقابة. وعرفت أنّ براگ فيه من الجنون ليفعل ما يقول، لأنّني سمعت الدكتور جوناثان يتحدث عن حالته العقلية المضطربة. كان ذلك في نحو الساعة العاشرة، والقطار سيغادر بعد بضع دقائق. فأسرعت إلى حُجيرة الهاتف وحاولت الاتصال بالدكتور جوناثان، لكنّني لم أفلح لأنّ العاصفة كانت قد بدأت هناك. لذا ركبت عربة القطار، وعندما وصلت إلى هنا رأيت براي يقفز من عربة المدخنين ويشرع في الركض. لم أستطع أن أجاريه في سرعته، وكنت قد وصلت إلى الطرف الآخر من الحديقة العامة عندما رأيته يدخل المنزل.

أوكستا : (بعد وقفة) هل ستبقين هنا الآن يا ميني؟ يحتاجك والدك. أنا.. أنا لن أسامح نفسي إن غادرت.

ميني : أخبريني يا سيدتي هل سمعت أخبارا أخرى عن جورج؟

أوكستا : (بتردد) نعم.. وصلت برقية إلى السيد پندار هذا الصباح.

ميني : إنّه عائد! متى سيصل إلى هنا؟

أوكستا : لا أعرف. أخشى ألاّ يصل إلى هنا على قيد الحياة!

ميني : لا تقولي هذا! سيعيش جورج، لا بدّ أن يعيش.

أوكستا : (تحدّق فيها) وكيف تعرفين؟

ميني : لأنّ العالم في أشد الحاجة إليه، وكذلك فوكسن فولز.

(تتجه إلى المدخل في جهة اليمين الخلفية).

أوكستا : هل ستغادرين؟

ميني : لا أستطيع أن أبقى هنا الآن.

أوكستا : لِمَ.. لِمَ لا؟

ميني : (وهي تذرف الدموع) أعلم أنّك تعرفين لِمَ!

أوكستا : هل تعنين.. أنّه يعنيك لهذه الدرجة؟

ميني : سأذهب.

(تدور لتغادر الغرفة عندما يُسمع صوت سيّارة، وصوت مكابحها. تقف ميني التي تكاد تكون وصلت إلى المدخل في جهة اليمين الخلفية وتحدّق).



أوكستا : (باضطراب) ما الأمر؟

ميني : سيارة .. أوه يا سيدة پندار.. إنّه هو.. إنّه جورج!!
(ترجع من المدخل وقد تقبّضت يديها).

أوكستا : جورج! (تهرع إلى المدخل، وتقول وهي تمضي) أين هو؟ لِمَ لا يدخل؟

ميني : (تحدّق إلى الخارج) لا يستطيع . أوه، سأذهب لإحضار الدكتور جوناثان!
(هي تتحدث وأوكستا تمضي).
(يُسمع خليط من أصوات أخرى من بينها صوت آشر الجهوري بلهجة آمرة).

آشر : في الخارج أدخلوه عن طريق المكتبة. إنّه طريق أسهل لك يا جورج.
(تندفع ميني بعد دقيقة من التردد عبر الغرفة - من الواضح أنّها لا تستطيع أن تهرب من المدخل من دون أن يراها جورج - وتخرج من الباب من جهة اليمين الأمامية. بعد لحظة يدخل جورج من المدخل في جهة اليمين في الخلف وهو يتكئ بكل ثقله على الدكتور فراي، وهو رجل مقتدر يرتدي زي عمل يناسبه كثيرا ويشير مظهره العام إلى أنّه من ذوي العمل المتمدّن المربح. يرتدي جورج لباسه الرسميّ. يبدو هزيلا أكثر من ذي قبل وتعلو وجهه علامات معاناة شديدة. تتدلى ذراعه اليسرى على جانبه).



(يتبعه آشر وأوكستا. يلوح الألم في وجه آشر الذي زادته تلك الحادثة التي حصلت عند السيارة حيث رفض جورج مساعدة آشر).

(يدخل جورج إلى الغرفة قليلا ثمّ يتوقف، يتأرجح قليلا ويضع يده على قلبه بحركة تشنجيّة. يقترب منه آشر ثانية ليساعده في صورة من الجزع، لكنّ جورج يردّه).

جورج : (يحتجّ بما بقي لديه من قوة احتجاج الخائف) لا .. لا يا والدي، أفضّل ألاّ... أستطيع المضي.

(يتوقف جورج ويرنو إليه بصمت، ومن ثمّ ينظر إلى أوكستا).

الدكتور فراي : من الأفضل أن تجلس هنا وترتاح قليلا يا نقيب بندار.

(يشرع آشر في دفع كرسي ذي ذراعين، لكنّ أوكستا تنظر إليه وتهزّ رأسها وتقوم هي بدفعه. يجلس جورج في الكرسيّ، ويسند رأسه ويغمض عينيه. تحوم أوكستا حوله وتمسد على شعره).

أوكستا : أليس هناك شيء نفعله يا دكتور فراي؟ ربما كأس صغيرة من الشراب ..؟

الدكتور فراي : (الذي يحاول أن يخفي قلقه برزانة مهنيّة) أرى أن ننتظر قليلا.

جورج : (يتمتم) سأكون بخير يا أمي.

(يقف الدكتور فراي يرنو إليه قليلا، ثمّ يدخل إلى الغرفة لينضمّ إلى آشر).

آشر : باللّه عليك أيها الطبيب أن تقول لي ما الخطب! لِمَ غادرت نيويورك معه وهو في هذه الحالة؟ هل هذا بسبب...؟

الدكتور فراي : (يتحدث بطريقة أسرع ممّا اعتاد عليه) كان بصحة جيدة عندما غادرنا نيويورك، ونصحنا أطباء الجيش أن نعيده إلى المنزل. فكّرت في أنّ السيارة أفضل من قطار بطيء. حاولت أن أتصل بك، لكنّ العاصفة...

آشر : أعرف.

الدكتور فراي : أرسلت لك ببرقية.

آشر : لم تصلني.

الدكتور فراي : من المستحيل أن نحصل على ممرضة كفء نظرا إلى تفشي وباء الإنفلونزا.

في الحقيقة اعتقدت أنّه ليس في حاجة إلى ممرضة. لكنّني ظننت أنّك ستشعر براحة أكبر إن جئت. كان يبدو بصحة جيدة جدّا ومبتهجا أيضا حتى وصلنا إلى فوكس فولز. كنّا نمرّ بمحلاّتك، وكان هناك حشد كبير من الرجال يضجّون في مكبّرات الصوت. هل هناك إضراب؟

آشر : نعم. تقول إنّه أصبح هكذا عندما رأى الحشد؟

الدكتور فراي : (يشير إلى جورج) كما ترى فقد اتكأ على المسند وكأنّهُ صُعق. حصل كل هذا في ثانية. تذكر سجلاّته الطبيّة العسكريّة أنّه تعرّض لمثل هذه الصدمة عندما كان في الخارج.

آشر : هل لاحظت كيف تحاشاني؟

الدكتور فراي : (بتردد) قد لا يعني هذا شيئا. إنّ ما يشكو منه الآن هو قلبه، ومع ذلك فأنا مقتنع بأنّ حالته تهمّ الطبيب والطبيب النفسي. أقرّ بأنني محتار، وحالما نستطيع الاتصال بنيويورك سأستدعي بارنويل Barnwell.

آشر : سأرى إن كنت أستطيع أن أتصل.

الدكتور فراي : العنوان هو: تلفون بلازا (٤٦٣٢).

(يسرع آشر خارجا من جهة اليمين في الأمام. يدور الدكتور فراي إلى جورج ليقيس نبضه عندما يدخل الدكتور جوناثان من جهة اليمين في الخلف. يعبر الغرفة مباشرة إلى جورج ويقف ينظر إليه).

أوكستا : (وهي تقف وراء كرسي جورج قليلا ترمق الدكتور جوناثان رمقات ألم، ثمّ تنقل نظرها إلى الدكتور فراي الذي يترك معصم جورج) جورج! عزيزي جورج! (الدكتور فراي صامت ومن ثمّ يدخل آشر ثانية).

آشر : (يتحدث إلى الدكتور فراي في نبرة منخفضة) يظنون أنهم يستطيعون الاتصال بنيويورك في غضون نصف ساعة.



(يومئ الدكتور فراي. يركّز انتباهه الآن على الدكتور جوناثان الذي مايزال يحدق في جورج. يبدأ آشر وأوكستا النظر إلى الدكتور جوناثان. يفتح جورج عينيه تدريجيّا وكأنّه واقع تحت تأثير الدكتور جوناثان).

جورج : (متلعثما) دكتور جوناثان!

الدكتور جوناثان : أنا هنا يا جورج.

جورج : هل هناك إضراب في المحلاّت؟

(ينظر جوناثان إلى آشر)

آشر : (يتردد ويتكلم بصعوبة) لا تقلق بشأن هذا الآن يا جورج.

جورج : لماذا.. لماذا هم مضربون؟

آشر : سأخبرك بكل شيء لاحقا.. عندما تبرأ من مرضك.

جورج : (بضعف ولكن بإصرار) أريد أن أعرف.

آشر : لا نستطيع أن نتحدث عن هذا الآن يا بني.. لاحقا.

جورج : هل وصلتك رسالتي.. الرسالة التي ناشدتك فيها...

آشر : بلى.. بلى، سأشرح لك الأمر كلّه غدا.

جورج : قد لا أكون هنا غدا. أنت لم تنفّذ ما طلبته منك؟ الأمر بسيط عندما تفكّر فيه. عندما تقاتل من أجله..

آشر	:	لدي خطة يا جورج. سنمعن النظر فيها. (يدنو من جورج).
جورج	:	(ينقبض) لا.. لا! (يرجع آشر. تظهر ميني فاريل من جهة اليمين في الخلف. تحمل في يدها قارورة وقطّارة وكأسا من الماء. تتردد عندما تراهم مجتمعين حول جورج، لكنّ الدكتور جوناثان يشير إليها بأن تتقدم). ممم .. من هذا؟ ميني؟ (يحاول جورج أن يستقيم في مقعده، لكنّ رأسه يقع إلى الوراء ويغمض عينيه ثانية. بعد ذلك يضع الدكتور جوناثان يده على ذراع الدكتور فراي وكأنّه يريد أن ينتحي به جانبا).
الدكتور فراي	:	هل أنت الدكتور جوناثان بندار؟ كنت أسأل نفسي إن كنت على قرابة من .. (ينظر إلى آشر).. هل لديك أي اقتراح؟
الدكتور جوناثان	:	(يأخذ القارورة والقطّارة من يد ميني) من بعد إذنك. لن يضرّ بأي حال من الأحوال.
الدكتور فراي	:	على كل حال، لو كنت أعرف أنك هنا...! (ينظر آشر باندهاش. يضع الدكتور جوناثان بضع قطرات من السائل الذي في القارورة في كأس الماء الذي تمسك بها ميني).
الدكتور جوناثان	:	هل تشرب هذا يا جورج؟



(يمسك الكأس مثبتا بينما يشرب جورج. ثمّ يتوجه بالحديث إلى فراي).

هناك أريكة في مكتب السيد پندار.

(يتوجه بالكلام إلى أوكستا): أحضري دثارا.

(تذهب أوكستا باتجاه الباب في الجهة اليمنى في الأمام، بينما تستعد ميني للانسحاب من المكان).

سوف نحتاجك يا ميني.

(يعطي ميني الكأس والقطّارة. يرفع الطبيبان جورج ويحملانه خارجا في جهة اليسار، تتبعهما ميني. يبتعد آشر قليلا، ومن ثمّ يتوقف وترتسم على وجهه أمارات القنوط. وبعد أن ذهبت أوكستا لتجلب الدثار، يبقى آشر لوحده يذرع الغرفة جيئة وذهابا حتى عادت).

أوكستا : (تقطع الغرفة من جهة اليمين إلى جهة اليسار وهي تحمل الدثار) آه، يا آشر!

(يشرع آشر يذرع الغرفة ثانية ذهابا وإيابا، عندما يدخل الدكتور فراي ثانية من جهة اليسار).

آشر: هل هناك أمل؟

الدكتور فراي : (يده على كمّ آشر). يمكن أن أخبركم بالمزيد عندما تُسنح لي الفرصة للتحدث مع الدكتور پندار. تبدو هذه الحالة من اختصاصه. أقرّ بأنّني عندما ذكرت بارنويل لم يخطر الدكتور جوناثان في بالي، فكل



ما حصل كان في طرفة عين. ورغم اسم العائلة المشترك بينكما لم أكن أتوقع أن أجده هنا.

آشر : إذن أنت تعرف جوناثان؟!

الدكتور فراي : لم أكن أعرف شيئا عنه قط حتى قرأت كتابه الذي نشره في السنة الماضية. عندما كنت في بالتيمور سألت عنه في مشفى جونز هوبكنيز، وأخبروني أنّه ذهب إلى نيو إنكلاند لأسباب صحيّة. أمر رائع أن أقابله هنا، وفي هذا اليوم!

آشر : أي كتاب؟ لم يتحدث معي عن أي كتاب.

الدكتور فراي : كتاب يتحدث عن التأثيرات النفسيّة في النوبات العقليّة. سبّب هذا الكتاب جدلا كبيرا في الأوساط الطبيّة، لكنّني واحد من هؤلاء المؤمنين بأنّ الطبيب يجب أن يسعى إلى علاج الروح إضافة إلى علاج الجسد. أعتقد أنّ العالِم الحقيقي هو قسيس المستقبل.

آشر : لم أدرك أنّ جوناثان..!

الدكتور فراي : (يبتسم قليلا) لا كرامة لنبي في وطنه.

آشر : ما الذي أعطاه لجورج؟

الدكتور فراي : لا أستطيع أن أخبرك تماما، لكنّني أستطيع التكهّن على الرغم من أنّه لم ينشر شرحا لتجاربه الجديدة.

(يعود الدكتور جوناثان ويدخل من جهة اليسار).

سيخبرك بنفسه من دون شك. (يخرج الدكتور فراي من جهة اليسار).

آشر : هل سيعيش؟

الدكتور جوناثان : سأكون صريحا معك يا آشر، لا أعرف. كلّ ما نستطيع فعله الآن هو الانتظار.

آشر : ليشهد عليّ ربيّ أنّني لن أبخل بشيء أو بتضحية ليسلم هذا الولد.

الدكتور جوناثان : تذكّر كلامك هذا يا آشر.

آشر : أتذكّر ماذا؟

الدكتور جوناثان : إن سلم فيجب أن تقوم بدورك وتقدّم تضحية.

آشر : دوري؟

الدكتور جوناثان : نعم، فما أعطيته من دواء هو نصف ما علينا فعله في هذه المعركة إن كان لنا أن ننجح. لم تنته تجاربي المخبريّة إلا الليلة الماضية.

آشر : هذا ما كنت تعمل عليه؟

الدكتور جوناثان : نعم. لكن لم تتح لي فرصة تجريبه إلاّ على الحيوانات. كنت أنوي الذهاب إلى مشفى حربيّ في نيويورك اليوم. وإن نجح الدواء عندها يجب أن نجرّب ما تبقى من التجربة؛ دورك فيها.

آشر : وما هو هذا الدور؟

الدكتور جوناثان : لعلّك لاحظت أنّ جورج يتجنبك.

آشر : هذا ما لا أستطيع تحمّله. أنت تعرف كيف كانت علاقتنا. لو قُدِّر له الموت.. وهو يشعر هكذا..!



الدكتور جوناثان : لم يفقد جورج حبّه لك، ولو كان الأمر كذلك لما انتابته تلك الأعراض. سأخبرك وباختصار على ماذا ترتكز نظريتي. لكنني أقول أولا إنصافا لفراي إنّه لم يكن في حوزته حقائق محدّدة تدلّه على حالة جورج النفسيّة.

آشر : لم أفهم.

الدكتور جوناثان : في اليوم الذي غادر فيه إلى فرنسا حصلت له أشياء زادت من تعاطفه مع من نسميهم الطبقة الكادحة، ومع حياتهم وطموحاتهم. وكما تعرف فإنّ جورج يملك بين جنبيه إنسانيّة كبيرة، فهو يحب رفاقه، ولم يفكر في مثل هذه الأشياء من قبل، وأعتقد أنّك قمعته.

آشر : أخبرته أنني لا أستطيع أن أناقش مواضيع معينة. إنّ حالته العاطفية أثارت فيّ المخاوف. كان راحلا، وتخيلت أنّه سيتجاوز الأمر.

الدكتور جوناثان : لم يتجاوز الأمر. وما تعرّض له كانت أزمة نفسيّة، فقد غادر المنزل يتقسّمه صراع بين حبه لك وما رآه فجأة أنّه الصواب. أعني الصواب بمعايير اليوم، معايير العام والساعة التي نعيش فيها. بدأت مسألة إعتاق العمال منذ مائة سنة مضت، منذ ظهور الآلات وبزوغ فجر الصناعة الحديثة، وازداد ذلك بسبب هذه الحرب. حسنا، وعندما آن الأوان ليعبّر جورج

عن معتقداته الجديدة ازداد صراعه النفسيّ. شرع يتخاطب مع الشبان الذين يقاتلون ويؤمنون بما آمن به. بعدها كتب لك هذه الرسالة التي يناشدك فيها قبل فترة قصيرة من إصابته.

آشر : الرسالة التي قرأتها عليك!

الدكتور جوناثان : حقيقة أنه في وطنه هنا، في المحلّات التي تحمل اسمه، لم يحاول أحد أن يواجه القضية الجديدة التي سيقاتل من أجلها، هذه الحقيقة أثقلت كاهله. بعدها أصابته القذيفة التي آذت جسده. لكنّ الاحتمالات التي أراها هي أنّه أصيب فسقط مغشيا عليه في نفس اللحظة التي كان فيها الصراع في عقله على أشده. كان يفكّر فيك، وبالشرخ الذي حصل بينكما، كان وحيدا، وكان خائفا لأنّ أشدّ الرجال شجاعة يشعرون بالخوف. كان انفجار القذيفة بالنسبة إليه كانفجار الصراع الذي يعتمل في صدره.

لن أدخل في الناحية المهنية من هذه المسألة وأتحدث عن التأثير النفسيّ في الحالة الجسديّة، ولكن بعد أن شُفي جرحه الجسديّ، كان كلّما حصل له شيء يذكّره بهذا الصراع، كرسالة منك، ثمّ رؤية المضربين عصر هذا اليوم في المحلاّت، ثمّ رآك ثانية، كلّ ذلك هو تكرار لما حصل معه عندما أصابته القذيفة. يصيب بعض الغدد فشل وظيفيّ، ويهدد القلب بأن

يتوقف ويضع حدّا للحياة. إن كانت نظريتي صحيحة فإنّ ما أعطيته إياه سيحد من ذلك الخطر، ولكنّ بشرط واحد يمكّنه من الاستمرار في الحياة كفرد نافع في المجتمع.

آشر : ما هو هذا الشرط؟

الدكتور جوناثان : أن ينتهي الصراع النفسيّ وهو السبب الرئيسيّ في مشكلته. حان الوقت يا آشر الذي تختار فيه بين قناعاتك وابنك.

آشر : أفصح.

الدكتور جوناثان : أعني أنّه يجب أن تكون على استعداد لأن تخبر جورج - إن تعافى- أنّك تخلّيت عن موقفك من العمّال وأنّك على استعداد لتقرّ بالنقابة وتنهي الإضراب وأن تفعل أكثر من ذلك. يجب أن تجرّب أن تجعل الصناعة ديموقراطيّة، وهذا ما يشغل بال جورج. وإلاّ فلن أكون مسؤولا عن سلامته العقليّة، حتى أنّني لا أستطيع حينها أن أعطيك أملا في أنه سيعيش.

آشر : لم أسمع قط بصراع نفسيّ يسبب مثل هذه الحالة!

الدكتور جوناثان : تذكّر أنّك قلت إنّك على استعداد لأي تضحية من أجل أن يعيش جورج.

آشر : (يدور إلى الدكتور جوناثان) أنت لا تحاول أن تستغل تطيّري[1] في وقت كهذا!

---

(١) التطيّر: اعتقاد مبني على الخوف والجهل يخالف العلم.

الدكتور جوناثان : أنا لا أتعامل مع التطيّر يا آشر، ولكن مع العلم. إن استفاق جورج سيرغب في التحدث إليك.

آشر : متى؟

الدكتور جوناثان : قد يكون هذا المساء أو لن يستفيق على الإطلاق. سأطرح عليك هذا السؤال: هل ستتخلى عن معتقداتك؟

(يطرق آشر. يحدّق به الدكتور جوناثان هنيهة بتعاطف).

سأعود إليه الآن. أرى أنّه من الأفضل أن ننقله إلى غرفته وإلى سريره.

(يخرج الدكتور جوناثان من جهة اليسار. يبقى آشر لوحده لفترة، ثمّ يظهر ثانية الدكتور فراي والدكتور جوناثان يحملان جورج. الدثار موضوع على ركبتيه ويبدو كأنّه فارق الحياة. تتبعهما ميني تحمل القارورة والكأس، ومن ثمّ أوكستا. يعبرون الغرفة ويخرجون من جهة اليمين في الأمام. يتبعهم آشر إلى الباب .. يتردد قليلا ثمّ يخرج).

(تسُدل الستارة وتظل هكذا لحظة في دلالة على مضي ثلاث ساعات. عندما تُرفع ثانية يكون الظلام قد حلّ، تُضاء الأنوار وستائر النوافذ مسدلة. يظهر أوكستا وآشر واقفين معا. يمسك آشر في يده كتابا أسود ذا غلاف جلديّ، ويضع إصبعا على الصفحة



التي كان يقرأ. يبدو عليهما إجهاد كبير).

أوكستا : (التي كانت تتحدث) وعندما أخذناه إلى الأعلى، كنت على يقين أنّه سيموت، وبدا لي أنّ لا دواء سينقذه. لكنه استوى جالسا وجعل يتحدث معنا.. كان شاحبا بالطبع وضعيفا، لكنّ يا آشر كانت فيه قوة لم أعهدها فيه قبل أن يغادر. لم يعد طفلا. لا أستطيع أن أبين لك شعوري، لكنني شعرت برهبة منه!

آشر : ألم يذكرني؟

أوكستا : لا يا عزيزي. وبما أنّ جوناثان حذّرني من أن أفعل، فلم أقل له شيئا عنك. لِمَ ذلك؟

آشر : جوناثان هو الآمر الناهي الآن.

أوكستا : على الرغم من موقفي منه، فقد أنقذ ولدنا جورج، وهذه معجزة.

آشر : معجزة علميّة.

أوكستا : (تشير إلى الكتاب الذي يحمله آشر) ومع ذلك فقد كنت تقرأ الإنجيل.

آشر : أخذته من المكتبة فقط. يضعه على الطاولة، ويلمس أوكستا على كتفها بلطف على غير عهده. أظنّ أنّنا يمكن أن نأمل الآن يا أوكستا. لكن قبل أن نطمئن على صحته تمام الاطمئنان هناك شيء يجب أن نفعله.



أوكستا : (بتوجس) ماذا؟

آشر : عودي إلى جورج الآن. سأخبركِ لاحقا. يبدو أنّه لا بدّ لنا أن نثق بجوناثان. ها هو الآن.

(يدخل الدكتور جوناثان من جهة اليمين الأمامية عندما تغادر أوكستا).

الدكتور جوناثان : يريد جورج أن يرتدي ثيابه وينزل إلى هنا.

آشر : هل تظن أنّ ذلك من الحكمة؟

الدكتور جوناثان : وفقا لهذه الظروف، بلى. قلبه عاد طبيعيّا من الناحية العمليّة، وفعلنا من الناحية الجسديّة كل ما في وسعنا أن نفعله. يبدو أنّ نصف التجربة نجح، وكلّما أسرعنا في تجربة النصف الثاني كان أفضل لنا. هل ماتزال راغبا في التجربة؟

آشر : أنا مستعد. نفذّت كل تعليماتك التي أرسلتها إلى اللجنة.

الدكتور جوناثان : (ينظر إليه) جيد!

آشر : (يتكلم بجهد) جوناثان.. أعتقد.. أعتقد أنّني أسأت الحكم عليك...

الدكتور جوناثان : (يبتسم) انتظر حتى تتأكد. فلا شيء يهمّ إن أنقذنا حياة هذا الشاب. بالمناسبة، لقد طلب رؤية تيموثي، وأنا أرسلت في طلبه.

آشر : طلب تيموثي ولم يطلبني!

الدكتور جوناثان : يبدو أنه قابل ضابطا في كتيبة بيرت بعد أن قُتل.



أعتقد أنّ اللجنة جاءت.

(تدخل الخادمة من جهة اليمين الأمامية. لا تنطق بكلمة، لكنّها تُدخل هيلمان، ورينش، وفيرسن، ومن ثمّ تذهب).

هيلمان، ورينش، وفيرسن معا: مساء الخير يا سيد بندار، مساء الخير أيها الطبيب.

آشر : مساء الخير.

(يخيم صمت مريك. ينظر آشر إليهم نظرة تحدٍ، بينما يخرج الدكتور جوناثان من جهة اليمين الأمامية).

هيلمان : (يتوجه إلى آشر) كيف حال ولدك يا سيدي؟

رينش : نحن قلقون بشأن النقيب كثيرا.

فيرسن : (يومئ موافقا) الشباب يفكّرون كثيرا به يا سيد بندار.

آشر : إنّه أحسن حالا، شكرا لكم، وذلك بفضل الدواء الذي أعطاه إياه الدكتور بندار.

رينش : ألم أقل ذلك؟ فعندما سمعت أنّه رجع إلى هنا، قلت إلى فريد هيلمان إنّه لا أحد يقدر على علاجه إلاّ الدكتور جوناثان وهنا في فوكسن فولز.

(صمت)

آسف يا سيدي أنّ الوضع كان كما كان عندما رجع النقيب إلى وطنه. كنّا قساة قليلا، ولكنّني أعتقد أنّ



السبب هو الورديات الطويلة. لو كنّا نعرف أنّ ابنك سيرجع...

آشر : لم أضربتم؟

رينش : لاتفقنا على التأجيل. عندما يكون شاب مثل هذا على وشك الموت في سبيل وطنه، فكل شيء يمكن أن يؤجّل. لكنّ ما كنّا نطلبه هو الحق فقط.

آشر : حسنا، حقّ أو ليس حقا، فأنا أرسلت في طلبكم لأقول لكم إنّني مهتم، وإنّ الإضراب قد انتهى.

رينش : هل.. هل ستقرّ بالنقابة؟

آشر : سوف.. (يتمالك نفسه) سأوافق على طلباتكم. (بعد لحظة من الاندهاش أبرقت وجوههم، واقتربوا منه).

رينش : نقدّر لك ذلك يا سيد پندار. سيسعد هذا الخبر الكثير من العائلات هذه الليلة.

فيرسن : نعم.

هيلمان : قد لا تصدقني يا سيد پندار ولكن كان يصعب علي أن أرى المحلاّت مغلقة. كان ذلك صعبا علينا كما هو صعب عليك، فنحن نفخر بها أيضا. أظنّ أنّك لن تندم على ما قرّرت.

آشر : (يلوح بيده يصرفهم) آمل ذلك. إنّ من يجب أن تشكروه هو ولدي والدكتور پندار.

رينش : نقدّر لهما ذلك أيضا.



(يشير آشر بيده إشارة وكأنّه يصرف رجال اللجنة ويصرف الموضوع عن ذهنه. يترددون، وعندما يهمون بالمغادرة يدخل جورج يتبعه الدكتور جوناثان من جهة اليمين في الأمام. كان دخوله دخولا مؤثرا جدا. يمشي ببطء وهو يتكئ على عصا، لكن بمظهر يليق بمقاتل ذي سطوة. يتوقف عندما يلاحظ وجود اللجنة).

هيلمان : (يتجه إلى جورج) كيف حالك يا نقيب؟

فيرسن : من الجيد أن نراك في الوطن ثانية.

رينش : (يتجه إلى جورج) يسرّني لقاؤك يا نقيب في يوم كهذا. وكما قال لارز فيرسن عندما كنا سنضرب، «إنّه يوم مناسب لهذا». حسنا، بل هو يوم أفضل فأنت عدت إلى الوطن، وبصحة وعافية، والإضراب قد انتهى.

جورج : (ينظر إليهم الواحد تلو الآخر، ومن ثمّ إلى آشر). ماذا تعني؟

رينش : والدك هنا منح السعادة للجميع. لقد أقرّ بالنقابة، وسنعود جميعا إلى عملنا. سنقوم على تشغيل الآلات لصنع ما يكفي من قنابل لقتل الألمان في فرنسا. سننتقم منهم لما فعلوه بك.

(يراقبون جميعا جورج وقد تأثّر أشدّ التأثر بما قاله رينش. تبرق عيناه بسعادة. يتجه إلى آشر بعد لحظة).



جورج : لِمَ فعلت ذلك يا والدي؟

آشر : سأقول لكَ لِمَ يا جورج. عندما وصلتَ إلى المنزل في عصر هذا اليوم أدركت شيئا لم أدركه من قبل. رأيت أنّني أسبح ضد التيار، وأنّني مثل ذلك الملك الإنكليزيّ الذي أقام عرشه على الرمال وظنّ أنّه سيصمد أمام الماء. إن.. إن حصل أي شيء لك لما استطعت الاستمرار. لكن الآن وأنت هنا بيننا، بما أنك خاطرت بحياتك وكدت تفقدها في سبيل هذا النظام الجديد الذي تؤمن به، فيمكنني إذن أن أستسلم بشرف. أنا متعب وأحتاج إلى الراحة. أظنّ أنّك أنقذت حياتي ووفرت علي المضي في معركتي. كنت صادقا مع معتقداتي وأفكاري. أنت من أصحاب الجيل الجديد، ولا بدّ أن تكون صادقا مع أفكارك كما كنت أنا مع أفكاري. وكما قلت لك سابقا إنّ كل ما أهتم به من هذا العمل هو أن أسلّمه لك.

جورج : وسوف تساعدني!

آشر : يبدو هذا من اختصاص جوناثان؛ العلم. لكنّني ما عهدت نفسي التقاعس يا بني، وسأدعمك إلى آخر دولار معي. كن على استعداد لتواجه الخيبات، ولكني سأكون سعيدا عندما تحقق شيئا. وإن فشلت يا جورج، فإن فشل الرجل المتمسك بمعتقداته هو فشل ذريع.

جورج : حسنا، هذا يعني الحياة بالنسبة إلي يا والدي، وأدين

لك بذلك.

آشر : (يدور باتجاه جوناثان) بل تدين له بذلك.. تدين للعلم بذلك.

(يضع يدا على كتف جورج، ويضع الأخرى بحركة مباغتة على كتف الدكتور جوناثان).

وإن كان العلم سيفيد الديموقراطيّة، عندها...

جورج : عندها ستكون من ميسوري يا والدي العزيز!

آشر : (بصوت متهدج، يحاول ضبط انفعاله وتكاد تغلبه المشاعر) أنا من ميسوري يا بني.

الدكتور جوناثان : إذن أنت عالم حقيقي أيضا يا آشر، لأن العلم دائما فيه الجديد.

(يخرج آشر من جهة اليمين في الأمام. يخرج معه الدكتور جوناثان مؤيدا متعاطفا. تلاحقهما عيون جورج واللجنة، ثمّ يجلس جورج، ويبتسم في وجه الرجال).

جورج : يجب أن نكون علماء نحن أيضا. هل تودّون يا رفاق أن تساهموا في التجربة؟

هيلمان : أي تجربة يا نقيب؟

جورج : بما أنّكم الآن حصلتم على نقابتكم، فما النفع منها؟

رينش : (بعد وقفة) ظننت أنّنا أوضحنا الأمر جيدا يا نقيب. سيكون لدينا ما نلجأ إليه عندما لا يفي ربّ العمل بتعهداته. أنا لا أتحدث عنك...

جورج : وبكلمات أخرى، لديكم سلاح.



رينش : يمكن أن تقول هذا.

جورج : لكنّ السلاح يعني الحرب، أليس كذلك؟

رينش : نحن لن نحاربك.

جورج : بلى ستفعلون إن تضاربت مصالحنا. عندما كنت في الخنادق كنت دائما أفكر في المقولة التي استخدمها لينكولن: «لن يصمد بيت تفرّق أفراده». سنحاول أن نحافظ على هذا المنزل كما فعل هو.

هيلمان : كان لينكولن رجلا حصيفا.

جورج : والحصافة اسم آخر للذكاء. وما يجب أن نعزم أمرنا عليه هو هل ستحمل أركان هذا المنزل القديم الديموقراطيّة؛ الديموقراطيّة الصناعيّة؟ هل نستطيع أن ندعّم عوارضه، أم سنشرع في بناء منزل جديد؟

رينش : (يحدّق بهيلمان) يبدو أن المنزل القديم قد تقوّض تماما في نظري، ولطالما قلت هذا.

جورج : يبدو أنّ أيامه ولّت. هل لنقابتك خطط لمنزل جديد جاهز متين الأركان؟

رينش : أخشى أنّنا لم نفهمك يا نقيب.

جورج : أنتم تنتمون إلى نقابات العمال الأمريكيّة، أليس كذلك؟ هل عند هذه النقابة منزل جديد ننتقل إليه؟

رينش : حسنا، لم أسمع بأي خطط.

جورج : إن كان البناء القديم صغيرا جدا فسيُخرج منه أحد



الفريقين: إمّا الموظفون، وإما صاحب المال، فأي منهما سيخرج؟

رينش : (يضحك) إن كان الأمر بخصوص هذا...

جورج : (يبتسم) ليس ثمة شك عندك، لكنّك لم تفكّر في الأمر، ولم تفكّر نقابتكم فيه، أو أنّها لا تودّ أن تفكّر فيه، وأرباب عملكم لا يريدون التفكير فيه أيضا.

هيلمان : (يمسّد شاربيه) هكذا إذن.

جورج : سأخبركم بمن فكّر في هذا. إنّهم الشيوعيون والاتحاد العالمي للعمال الصناعيين. وبما أنّ لديهم برنامجا ما، أي برنامج كان، فإنّهم لهذا أذكياء أكثر منّا في الوقت الحالي.

رينش : هؤلاء؟

جورج : تماما.. هؤلاء. على الأقل هم يرون أنّ هذا المنزل ليس ملائما للعيش فيه، ويريدون هدمه ومن ثمّ العودة للعيش بين الأشجار وفي الكهوف.

هيلمان : هذا صحيح نوعا ما.

جورج : ولكنكم محافظون أنتم معشر اتحاد العمال.. معشر أرستقراطيي العمل، والذي يعني أنّكم لا تفكّرون. إنّ الذي تعترضون عليه حقا حينما تهتمون هو أنّ الرجال مثلي ومثل والدي ومثل المصرفيين جميعا في نفس المركب، فجميعنا يمتلك مصارف ويتحكم في ظروف معيشة الرجال من أمثالكم.



رينش : أنا لم أسمع قط هذا الكلام وقد وضع في هكذا سياق، ولكن والله هذا صحيح!

جورج : ونقابتكم ونقابات عمالكم هي للأيدي الماهرة، للعمّال الذين يعيشون في ظروف حسنة تزداد تحسّنا كلّما رفعتم الأجور. تشتكون أنّنا أرباب العمل لا نفكّر فيكم، ولكن هل تفكّرون في الملايين من صغار الكسبة الذين لا يكسبون إلاّ قوت يومهم؟ إنّ البناء القديم مناسب جدا لكم أيضا، ولكن ماذا يفعل التعساء الذين لا يجدون متسعا للجلوس، بينما نحن نتشاجر من منا سيحتل الغرفة الأفضل؟

رينش : يفجرون المنزل كما أظن.

جورج : إن كانوا قساة كما تقول لتهاوى المنزل مثل حزمة من أوراق اللعب، وهذا لأنّنا ببساطة أغبياء. أليس في مقدورنا أن نبني منزلا كبيرا بما يكفي ليتسع لمئات الملايين من الناس مع ذريتهم؟ ألا نستطيع أن نبني منزلا لا يوجد فيه بعد فترة من الزمن إلاّ العمّال، لا رأسماليين ولا مستغلّين، فقط عمال من رجال ونساء، وكلٌ في مكانه المناسب؟ عمل ملائم للرجال، ولكن ألا يستحق المحاولة؟

رينش : (بحماسة) بلا يا نقيب.

جورج : ألا نستطيع أن نبدأ به بشكل متواضع بأن نضع نموذجا لهذا المنزل الكبير هنا في فوكسن فولز؟ سيساعدنا الدكتور جوناثان في هذا.



رينش : فلتعمل على ذلك أيها النقيب، كلّنا نثق بك وبه.

جورج : الثقة أمر حسن، لكن يجب أن تسعوا أنتم أيضا وأن تستعملوا عقولكم. يجب أن نجلس معا وأن نتعلم، نحن العمال وأرباب العمل الذين يمسكون الآن بخيوط الحقيقة وبكل المعطيات والعناصر التي تتعلق بالطبيعة البشريّة، وذلك من واضعي النظريات والطلاب الذين نستخف بهم.

رينش : حسنا، في الواقع لم أكن أعتبر الكثير منهم مفكّرين.

جورج : إنّهم جزء من اللعبة. نظرياتهم هي أساس النشاط الذكي. فما الذي عسانا نفعله من دون أرقامهم؟ انظروا إلى ما حققناه من إنتاج وتوزيع على نطاق واسع في هذه الحرب! هذه مشكلة عالميّة جديدة. هل سنكون روّادا هنا في فوكسن فولز في تطبيق هذه التجربة الجديدة؟

رينش : تجربة في الكيماويات البشرية يمكن أن يقول الطبيب. روّاد! تعجبني هذه الكلمة. يمكن أن تضعني في العربة أيها النقيب[1].

جورج: ستكون عربة كبيرة تُرفع فيها الستائر، فيرى كل الناس ما فيها، لا أسرار، وستكون عربة ذات دستور صناعيّ.

---

(١) إشارة منه على الموافقة.



فيرسن : عذرا أيها النقيب، ولكن ماذا تقول؟
(يضحك رينش).

جورج : يبتسم ألا يفاجئك هذا يا فيرسن، أنّه ما لم يكن للرجل اهتمام بالصناعة التي يشجع ويدعم، واهتمام في الحكومة التي يصوّت لها فهذه هي السخرية؟!
(يومئ فيرسن).

رينش : يجب أن نسعى لأن نثقف لارز Larz قليلا.

جورج : أوه، أظن أنّه سيكون مواطنا صناعيّا صالحا. ولكن هذا جزء من الصفقة.

رينش : هذا عدل. الطبيعة البشريّة ليست فاسدة إن منحتها الفرصة.

جورج : حسنا، إذن هل أنتم راغبون في تجربة الأمر؟

رينش : كلنا معك يا نقيب.

هيلمان : نعم نحن كذلك.

فيرسن : سنكون روادا!!

جورج : هذا من سجية الأمريكيّ يا فيرسن ألاّ يخاف من المثالية. لنتصافح! وسنتدارس المسألة بعد يوم أو يومين.

(يتصافحون جميعا. يخرج أعضاء اللجنة من الغرفة من جهة اليمين في الأمام. يبقى جورج لوحده لفاصل قصير عندما تدخل ميني في ثوب التمريض الأبيض من جهة اليمين الأمامية تحمل في يدها كأسا من الدواء).



مينى : (تتوقف) أنت لوحدك؟ أين الدكتور جوناثان؟

جورج : خرج مع والدي.

مينى : الساعة الآن التاسعة.

(تعطيه كأس الدواء، فيتجرّع ما فيه ثمّ يضعه على الطاولة. ثمّ يمسك بيديها ويسحبها ناحيته ويقبّلها فتستسلم له من دون تمنع).

لِمَ تفعل هذا يا جورج؟

جورج : لأنني أحبك، ولأنني أحتاجك، ولأنني سأتزوج منك.

مينى : (تهز رأسها ببطء) لا.. لن تفعل.

جورج : ولِمَ لا؟

مينى : أنت تعرف السبب مثلي تماما.

(ترفع نظرها وتحدق به. هو مايزال يمسك بها بين ذراعيه. تقبله فجأة بشغف، وتفلت من بين يديه وتهمّ بالخروج من الغرفة عندما تقابل الدكتور جوناثان الذي يدخل من جهة اليمين الأمامية).

دكتور جوناثان : إلى أين تذهبين يا مينى؟

(تتوقف مينى وتصمت. يمسك الدكتور جوناثان بذراعها بشدة ويقلّب نظره بينهما مدركا لم قد حصل).

جورج : طلبت يدها للزواج يا دكتور جوناثان.

دكتور جوناثان : ما هو اعتراضك يا مينى؟

مينى : أنت تعرف لِمَ لا أقدر يا دكتور جوناثان. أي صنف من الزوجات سأكون له بين عائلته وأصدقائه. سأفعل



أي شيء له إلاّ هذا. لن يكون سعيدا معي.

دكتور جوناثان : وما هو جوابك يا جورج؟

جورج : أنا لا أريدها لعائلتي ولأصدقائي. أنا أريدها لي. هذا ليس حكما مفاجئا، فقد كان لدي الوقت لأُعمل فيه فكري.

ميني : لم أقصد أن أكون هنا عندما وصلت إلى المنزل. أنا أعلم أنني لا أناسبك كزوجة، فأنا لست مثقفة على الإطلاق.

جورج : ولا أنا كذلك. عشت بين مثقفين ووجدت أن الثقافة تتألف من أفكار ثابتة ومفاهيم مجردة عن التقدم، من كرهنا للرئيس ومن اختيار الجيد من الناس ومن تناول السمك بالشوكة.

ميني : (تبتسم على الرغم من دموعها) حسنا، أنا لا آكل السمك بالسكين على كل حال.

جورج : أنفقت ريعان الشباب في تعلّم اليونانيّة واللاتينيّة، وأنا عاجز عن التكلّم بهما وقراءتهما. أعرف أنّ هوميروس نظم الأوديسة وأنّ شيشرون[1] ألّف الخُطب لكنني لا أقدر على الاقتباس منهما. كلّ ما أتذكره عن علم الأحياء أنّ البقاء للأمثل، ورأيت في هذه الحرب الأمثل يقتلون كالذباب. لديك عدّة

---

(١) ماركوس توليوس شيشرون (١٠٦-٤٣ق.م) سياسيّ وخطيب رومانيّ تعدّ خطبه آية في البلاغة اللاتينية.



سنوات من العمل المفيد في محلاّت بندار وأعمال الأسلاك، وبالطبع لن نذكر ما تعلمتيه على يد الدكتور جوناثان في الكيمياء الحيوية وعلم النفس وعلم الاجتماع. سأترك الأمر له إن كنت لا تعلمين عن الحياة أكثر ممّا أعلم، عن حياة ومشاكل كلّ الناس في هذا البلد. والآن انتهى الإضراب.

مينى : انتهى الإضراب!

جورج : نعم، أنا اخترت حياتي. لن تكون حياتي مقسّمة ما بين مكتبي في وول ستريت wall street وبين نيويورك وبالم بيتش Palm Beach. لن تنفعني فتاة تخرجت في واحدة من تلك المدارس الخاصة بتعليم الفتيات ثقافة المجتمع السائدة. سأبقى هنا في فوكسن فولز يا ميني. لدي عمل حقيقي؛ وأريد امرأة حقيقية ذات معرفة خاصة لتساعدني. لا أقصد أن أقول إنّه لن يكون لدينا عُطل، وسنجلس ونتعلّم معا. سيكون الدكتور جوناثان مدير المدرسة.

مينى : إنّه حلم يا جورج.

جورج : حسنا يا ميني. إن كان حلما يستحق الموت من أجله، فإنه يستحق الحياة من أجله. شقيقك بيرت مات من أجل هذا الحلم.

(ستارة)



السيرة الذاتية لمقدم الدراسة

- الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد حسن شحاته صقر
- مواليد/ الإسكندرية ١٩٥٩
- الوظيفة / أستاذ
- التخصص العام/ الدراسات المسرحية
- التخصص الدقيق/ الدراما والنقد المسرحي

التدرج الوظيفي:

- معيد بقسم الدراسات المسرحية - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية اعتبارا من ١٠/٦/١٩٨٢ وحتى ٢١/١٢/١٩٨٧.
- مدرس مساعد بقسم الدراسات المسرحية - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية اعتبارا من ٢٢/١٢/١٩٨٧ وحتى ٢٥/١/١٩٩٣.
- مدرس بقسم الدراسات المسرحية - كلية ا لآداب - جامعة الإسكندرية اعتبارا من ٢٦/١/١٩٩٣ وحتى ٢٦/٢/٢٠٠١.
- أستاذ مساعد بقسم الدراسات المسرحية - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية اعتبارا من ٢٧/٢/٢٠٠١ وحتى ٢٥/١٠/٢٠١٠.
- أستاذ بقسم الدراسات المسرحية - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية اعتبارا من ٢٦/١٠/٢٠١٠ وحتى الآن.

المؤهلات العلمية:

- درجة الليسانس في الآداب من جامعة الإسكندرية دور مايو ١٩٨١ بتقدير جيد جدا.
- درجة الماجستير في الآداب من قسم الدراسات المسرحية من جامعة



الإسكندرية ١٩٨٧ بتقدير ممتاز.

● درجة الدكتوراه في الآداب من قسم الدراسات المسرحية من جامعة الإسكندرية ١٩٩٢ بمرتبة الشرف الأولى.

المؤلفات العلمية:

● دراسات في المسرح العربي الكوميدي المعاصر، مركز إسكندرية للكتاب، ط ١/ ١٩٩٧، ط ٢/ ١٩٩٩.

● توظيف التراث الشعبي في المسرح العربي، مركز إسكندرية للكتاب، ط ١/ ١٩٩٩–ط ٢/ ٢٠٠٠، ط ٣/٢٠٠٢.

● تاريخ النقد ونظرياته، مركز إسكندرية للكتاب، ط ١/ ٢٠٠١، ط٢/٢٠٠٣، ط٣/ ٢٠٠٥.

● مقدمة في نظرية المسرح الفكري، مركز إسكندرية للكتاب، ط١/ ٢٠٠٢.

● مسرح الأطفال، مركز إسكندرية للكتاب، ط١/٢٠٠٤.

● العولمة والمسرح، مركز إسكندرية للكتاب، تحت الطبع.

● المسرح والمجتمع، محاضرات، ٢٠١٠.

● المسرح الأمريكي الحديث والمعاصر، محاضرات، ٢٠١٠.

● المسرح المصري الحديث والمعاصر، محاضرات، ٢٠١٠.

● دراسات في المسرح المقارن، مركز إسكندرية للكتاب، تحت الطبع.

المؤتمرات والندوات

● أمين عام المؤتمر الدولي الأول حول قضايا المسرح في العالم العربي، مارس ١٩٩٦.

● المشاركة ببحث في ندوة "مسرح سعد الدين وهبة" المعهد العالي للفنون



المسرحية - الكويت ١٩٩٩.

- المشاركة ببحث في ندوة "الفنون في القرن العشرين" جامعة الكويت، مارس ٢٠٠١.
- المشاركة ببحث في ندوة "المرأة والمسرح" المعهد العالي للفنون المسرحية، الكويت، مارس ٢٠٠٢.
- المشاركة في بعض البرامج الإذاعية والتلفزيون المتخصصة في المسرح بتلفزيون الإسكندرية وإذاعة وتلفزيون دولة الكويت.
- المشاركة في برنامج "فنون أدبية حول الأسطورة" تلفزيون دولة الكويت، ديسمبر ٢٠٠٥.
- المشاركة بتقديم مقترح وتم الأخذ به في المؤتمر العلمي لكلية الآداب، مارس ٢٠٠٩.

- (حول تطوير البرامج الدراسية وإنشاء شعبتي الدراما والنقد/ والتمثيل والإخراج).

التحكيم في الأنشطة المسرحية

- التحكيم في مسابقة التأليف المسرحي الأول - مسرح الشباب، دولة الكويت ٢٠٠٥.
- التحكيم في مسابقة النشاط المسرحي الجامعي - جامعة الإسكندرية ٢٠٠٩.
- التحكيم في مشروعات التخرج لطلاب قسم الدراسات المسرحية وطلاب المعهد العالي للفنون المسرحية - شعبة النقد.



- هذا إلى جانب الدراسات والأبحاث التي نحن بصدد الانتهاء من إعدادها، كما لا ننسى إضافة الموقع الجديد الذي دشن والذي نعرض من خلاله قضايا في الدراما والنقد المسرحي، وهو يحمل عنوان: ahmedsaker. ahlamontada.net دراسات مسرحية متخصصة، وأخيرا من يرغب في الاطلاع على الدراسات مراجعة موقعي الـ facebook و twitter، إلى جانب الموقع الفرعي على الحوار المتمدن.



العدد القادم

«منتصف الليل يا دكتور شويتزر»

تأليف: جيلبير سيسبرون

ترجمة: منتجب صقر



هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المسرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيرون أهمية دوره الحيوي وما يمكن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية (المدرسة) مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحا تعليميا تربويا فقط، بل كان مسرحا يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحياة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامها بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشراف بعد انتقال مسؤوليته إلى دائرة الشؤون الاجتماعية، وتخصيصها إدارة للمسرح والفنون ورعاية شؤون الفرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة الإعلام في ما بعد)، وتطور معهد الدراسات المسرحية إلى معهد عال لدراسة الفنون المسرحية أكاديميا.

وفي سبيل تنمية الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكريا وأدبيا، ارتأت الوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشرف عليها الشاعر الراحل أحمد العدواني، والدكتور محمد موافي أستاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العدد الأول من سلسلة «من



المسرح العالمي» في أكتوبر عام ١٩٦٩ يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا حتى عام ١٩٩٨، بعد أن انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية (مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية)، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

الأمانة العامة



أسماء وكلاء التوزيع

الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ - الحرة - قسيمة 34 - الكويت - الشويخ - ص.ب 64185 - الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubi Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	00971 242629273	00971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية - الرياض - حي المؤتمرات - طريق مكة المكرمة - ص.ب 62116، الرمز البريدي 11585	00966 (01) 2128000	00966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية - دمشق - البرامكة	00963 112127797	00963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية - القاهرة - 6 شارع الصحافة - ص.ب 372	00202 25782700- 25782632	00202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب - الرباط - ص.ب 13683 - زنقه سجلماسه - بلفدير - ص.ب 13008	00212 522249200	00212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس - ص.ب 719 - 3 نهج المغرب - تونس 1000	00216 71322499	00216 71323004
لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	لبنان - بيروت - خندق الغميق - شارع سعد - بناية فواز	00961 1666314/5 01 653259	00961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية - صنعاء	00967 2/3201901	00967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان - تلال العلي - بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	00962 65300170 - 65358855	00962 65337733
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	البحرين - المنامة - ص.ب 10324	00973 17 480801	00973 17 480819
سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص.ب 473 - مسقط - الرمز البريدي 130 - العذيبة - سلطنة عُمان	00968 24492936	24493200 00968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر - الدوحة - ص.ب 3488	00974 4557809/10/11	00974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله - عين مصباح - ص.ب 1314	00970 22980800	00970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان - الخرطوم - الرياض - ش المشتل - العقار رقم 52 - مربع 11	002491 83242702	002491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria	00213 (0) 31909590	00213 (0) 31909328
العراق	شركة الازدهار للتوزيع	Al Izdihar (alizdihar__co@yahoo.com)	-	-
نيويورك	Media Marketing	Long Island City. NY 11101 - 3258	00718 4725488	00718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	(0) 0044 2087499828 0044208 7423344	44208 7493904





سعر النسخة

الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي	نصف دينار
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت